



لقسم الأول
فِي أَخْبَارِ الْمَجْنُونِ
وَرَضِيمِ فَمِحْصَةِ عَشْرِ قُصَدٍ

أَخْبَارُ الْمَجْنُونِ



مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى قرَّب إلى جنابه مَنْ أَحَبَّ ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والصَّحْب ، وبعد :

فهذا تعليق سميته بِـ « بَسْطِ سَامِعِ الْمَسَامِرِ فِي أَخْبَارِ مَجْنُونِ بَنِي عَامِر » الذى ضُرِبَتْ به الأمثال فى العشق من غير شك ، واشتهر به اشتهاً « قَفَانَبِك »^(١) . وهو أعظم من نُسِبَ إليه « حَكَمِ سُلْطَانِ الْحُب » ، وقد جاءت إليه محبوبته « لَيْلى » يوماً وهو يقول : لَيْلى ، لَيْلى ، ويُلقَى الثلج على صدره فتُذِيه حرارةُ فؤاده ؛ فقالت له : يا قيسُ ، أنا لَيْلى ؛ فنظر إليها وقال لها : إليك عنى ! فإن حبك شغلنى عنك ! . وهذا ألطف حال ظهر فى هذا الشأن من « سُلْطَانِ الْحُب » لأن صورتها الظاهرة لمَّا شاهدها حالت بينه وبين ما كان فى خياله منها ، فإن خيالها ألطف منها فى عينه ، فلما أحسَّ بفقد ذلك اللطف لمشاهدتها ، قال لها : إليك عنى !! وفى ذلك قيل :

- ١ - وَعِزَّةُ الْحُبِّ إِنْ الْحُبُّ أَشْهَدُنِي عَيْنَ الْحَبِيبِ الَّذِي أَهْوَاهُ فِي خَلْدِي
٢ - بِحَيْثُ لَوْ ظَهَرَتْ فِي الْحِسِّ صُورَتُهُ لَعَيْنَ حُبِّي لَمْ أَنْقُصْ وَلَمْ أَزِدْ

□ لماذا وضع المؤلف هذا الكتاب ؟

وضعته تذكرة يتعظ بها المتعظ ، ويتيقظ منها اليقظ ، ويتبصر بها المحب ، ويصيب منها الوَصِيب^(٢) ، ويستحليها الشاعر ، ويستلذها النَّاثِرُ ، ويرتقى بها أصحابُ اللغة رُتْبَةً سَنِيَّةً ، ويحتج بها النحاة على العَرَبِيَّةِ ، وَيَسْتَشْهَدُ بها أربابُ المعانى والآداب فى المهمات ، ويستغنى بها أهلُ الأصول والمشروعات ، سائلاً من الله حُسْنَ القبول ، ورتبته على فصول .

(١) معلقة امرئ القيس التى مطلعها :

قفا نَبَكٍ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فعومل

ارجع إلى شرح المعلقات بتحقيقى لإصدار « دار الطلائع » .

(٢) الوَصِيب : المريض الذى يجِدُ وجعاً .

■ الفصل الأول ■ فى اختلاف العلماء فى اسمه ونسبه

□ قد اختلف العلماء فى اسمه ونسبه :

- أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن الصالحى ، سماعاً عليه بيستانه بالسهم الأعلى بها ، عن جده ، أنا الصلاح بن أبى عمر (ح) .
- وأباح لى عاليًا أبو الحسن على بن محمد المقرئ شفاهاً ، عن الصلاح بن أبى عمر عمومًا ، أنا الفخر بن البخارى ، أنا أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه ، أنا محمد ابن ناصر ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، ثنا أبو محمد المحسن بن على الجوهري (ح) .
- قال ابن الجوزى : وأنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا أبو القاسم على بن الحسن التنوخى ، أنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال ابن دأب^(١) ، عن رباح بن حبيب العامرى : هو « قيس بن الملوح بن مُزاحم » .
- وقال أبو عمرو الشيبانى : أخبرنى أبو بكر الوالى ، عن بعض ولد على بن أبى طالب : هو : « قيس بن مُعاذ العقيلي » .
- وقال أبو العالية : هو « الأقرع بن معاذ » .

□ هل كان فى بنى عامر ثلاثة مجانين ؟ وما وجه الصواب فى هذا الخلاف ؟

- وبه إلى ابن الجوزى ، ثنا محمد بن عبد الباقي ، أنا على بن المحسن ، ثنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، أخبرنى أحمد بن حرب ، أخبرنى ابن أبى كريمة ، ثنا قلابة العامرى ، عن القاسم بن سويد الجرمي ، قال : كان فى بنى عامر ثلاثة مجانين :
- (١) مُعَاذ ليلي ، وهو معاذ بن كليب أحد بنى عامر بن عبيد .
- (٢) وقيس بن معاذ .

(١) ابن دأب هو : عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب كان عالمًا بأخبار العرب وأشعارهم ، وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر ، وكلامًا ينسب للعرب (انظر ترجمته فى التعليق على كتاب التاج المنسوب للجاحظ ص ١١٦ - ١١٧) .

(٣) ومهدى بن الملوح الجعدى .
قلت : الصواب أنه « قيس بن الملوح »^(١) والله أعلم .

■ الفصل الثانى ■ فى نسب ليلى وكُنْيَتِهَا

□ فأما ليلى فاختلف فى نسبها وكنيتها :

□ أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمرى ، أنا أبو الوفاء إبراهيم بن محمد الحافظ ، عن أبى بكر بن المحب ، أنا أبو محمد المطعم ، أخبرتنا كريمة الزاهدة ، أنا ابن باق ، أنا الترسي ، أنا التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المَرْزُبَان ، أنا محمد بن خلف ، أنا أبو العباس الأحول ، قال : قال لى على بن معمر بن المثنى :
إنَّ محبوبة مجنون بنى عامر التى كَلَفَ بها هى : ليلى بنت مهدى بن سعد بن مهدى بن ربيعة بن الحريش .

وقال بعضهم : « ليلى بنت ورد » من بنى ربيعة .
وفى كنيته قولان :

أحدهما : « أم مالك » ، وبذلك كناها المجنون فى شعره فى عدة قصائد ، وهو الصواب .

والثانى : « أم عمرو » قلت : وفى بعض شعر المجنون « أم عمرو » على ما يأتى ، وهى من بنى عامر ، ولهذا يقال لها : ليلى العامرية .



(١) قال أبو الفرج الأصبهاني : هو - على ما يقوله من صَحَّح نسبه وحديثه - « قيس » ، وقيل : « مهدى » . والصحيح : أنه « قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن عدى بن ربيعة بن جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

■ الفصل الثالث ■

فى سياق بداية معرفة المجنون بليلى

□ كيف نشأت الصلة بين قيس وليلى ؟

وقد اختلفوا فى ذلك ونحن نذكره :

القول الأول :

□ أخبرنا أبو الحسن على بن البهاء البغدادى ، أنا أبو الفرج بن الطحان ، أنا أبو عمر بن قدامة ، أنا أبو الحسن السعدى ، أنبأنا أبو الفرج البكرى ، أنا أبو الفضل ابن ناصر ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا أبو محمد الجوهري ، أنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، أخبرنى أبو محمد البلخى ، أخبرنى عبد العزيز بن صالح ، عن أبيه ، عن ابن ذأب ، قال : حدثنى رجل من بنى عامر يقال له : رباح بن حبيب ، قال : كان فى بنى عامر جارية من أجمل النساء ، لها عقل وأدب ، يقال لها : ليلي ، فبلغ المجنونَ خبرُها ، وما هى عليه من الجمال والعقل ، وكان صَبًّا^(١) بمحادثة النساء ، فعَمَدَ إلى أحسن ثيابه فلبسها وتبأ إليها ، فلما جلس إليها وتحدث بين يديها أعجبه ووقعت بقلبه ، فظلَّ يومَه ذاك يحدثها حتى أمسى ، فانصرف إلى أهله ، فبات بأطول ليلة حتى إذا أصبح مضى إليها ، فلم يَزَلْ عندها حتى أمسى ثم انصرف ، فبات بأطول من ليلته الأولى ، وجعل يحاول أن يغمض فلم يقدر على ذلك ، فأنشأ يقول :



(١) صَبًّا : أى مشتاقا ؛ يقال : صَبَّ إليه صباة : رق واشتاق فهو صَبٌّ وهى صَبَّةٌ .

- ١ - نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
٢ - أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى وَبِجَمْعِنِي وَاهْمٌ بِاللَّيْلِ جَامِعٌ^(١)
وَأَدَامَ زِيَارَتَهَا وَتَرَكَ إِيَّانَ كُلِّ مَنْ كَانَ يَأْتِيهِ ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِهَا مِثْلُ الَّذِي وَقَعَ فِي قَلْبِهِ لَهَا .

امتحان قاسٍ ؛ وعهد ووعد

فجاء يوماً يحدثها ، فجعلت تعرض عنه ، وتقبل على غيره تريد أن تمتحنه ، وتعلم ما لها في قلبه ، فلما رأى ذلك منها اشتد قلبه وجزع ، فلما خافت عليه أقبلت إليه ، فقالت :

كِلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بَعْضًا وَكُلٌّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ
فَسُرِّي عَنْهُ ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُمْتَحِنَكَ ، وَالَّذِي لَكَ عِنْدِي أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي لِي عِنْدَكَ ، وَأَنَا مَعْطِيَّةُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَهْدًا إِنَّ أَنَا جَالِسْتُ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا رَجُلًا سِوَاكَ حَتَّى أَذُوقَ الْمَوْتَ إِلَّا أَنْ أُكْرَهَ عَلَى ذَلِكَ ، فَانصرف وهو أسر الناس ، فأنشأ يقول :

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الْأُولَى كَنَّ قَلْبَهَا

(١) ذكر داود الأنطاكي في تزيين الأسواق هذين البيتين من قصيدة طويلة بلفظ :

- ١ - نَهَارِي نَهَارُ الْوَاهِنِ صَابَةً وَلَيْلِي تَبْوٌ فِيهِ عَنِ الْمَضَاجِعِ
٢ - وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خَلَوًا وَإِنَّمَا تَقَسَّمُ بَيْنَ الْهَالِكِينَ الْمَصَارِعِ
ثم عقب عليهما بقوله : وهذان البيتان في غير رواية أُنِيَ عَلَى :

- ١ - نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
٢ - أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى وَبِجَمْعِنِي بِاللَّيْلِ وَاهْمٌ جَامِعٌ
وصرح في « نزهة العشاق » بذلك ، وقال : إن المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح ؛ فإنهما متعاصران حتى إن صاحب الأغاني نقل تلاقيهما ذلت يوم . وَيُرْوَى - وَهُوَ الْأَصَحُّ - هَزَّتْنِي - الْمَضَاجِعُ ، أُنِيَ : كَرِهْتِي وَطَرَدْتِي .

- ١ - أَظُنُّ هَوَاهَا تَارَكِي بِمَضِلَّةٍ من الأرض لا مالٌ لدى ولا أهلُ
 ٢ - ولا أحدٌ أَقْضَى إِلَيْهِ وَصِيَّتِي ولا وارثٌ إلا المطيئة والرخل^(١)
 ٣ - محابُّها حبُّ الأولى كُنَّ قبلها وحلت مكاناً لم يكن خلٌّ من قبلُ
- وقفة مع اللغويات :

□ قال ابن الجوزي : قد ذكرنا في هذه الحكاية قوله : * « هزنتي إليك المضاجع » * وما روى لنا إلا بالزاي ، ولا سمعنا أحداً يذكره إلا كذلك !
 ثم رأينا أبا الفتح بن جني قد ذكره بالراء فقال : * هَزَنْتِي إِلَيْكَ المضاجع * قال :
 والزاي تصحيف عندهم . قال : ويقال : هَرَّ الشيء يهرّ ويهره إذا كرهه ، فمعنى
 هَزَنْتِي : كَرِهْتَنِي فَنَبَتْ بِي .

وقوله : والهَمُّ منصوب على أنه مفعول معه .
 وقوله بِمَضِلَّةٍ : المَضِلَّةُ يعنى - بفتح الميم - المكان الذى يضل الإنسان فيه الطريق .

وقوله : محابُّها : من المحو ؛ وهو الإزالة ، وحُبُّها مرفوع على أنه فاعل ، وحُبُّ
 الثانى منصوب على أنه مفعول ، والأولى جمع أولى .
 وقوله : من قبلُ مبنى على الضم لا يتغير آخره لأنه لو تغير لكان مجروراً ، قال
 الله - عز وجل : ﴿ ... لله الأمر من قبلُ ومن بعد ... ﴾ [الروم : ٤] .
 وفى بداية معرفتهما قول آخر :

القول الثانى :

□ وبهذا السند إلى أبى الفرج البكرى ، أنا محمد بن ناصر ، أنا أحمد بن محمد
 البخارى ، أنا أبو محمد الجوهري « ح » .

(١) قال داود : فى رواية هذا البيت : * ولا صاحب إلا المطيئة والرحل * وهذا أصح وأنسب لأن المطيئة
 لا ترث وتستصحب كما جاء فى كلام العرب :
 إن الحمار مع الحمار مطيئة وإذا خلوت به فبس صاحب .
 ورواه صاحب الأغاني « أفضى إليه وصيتى » وأفضى لا تتعدى بنفسها يقال : أفضيت إليه بسرى .
 والصواب أفضى إليه بالقاف . يقال : قضيت إليه الأمر ، أى أنهيته إليه وأبلغته .

قال أبو الفرج : وأخبرنا محمد بن عبد الباقي ، قال : أنبأنا علي بن المحسن ، قال : أنا أبو عمر بن حيويه ، قال : ثنا محمد بن خلف ، قال : قال العُمري ، عن لقيط ابن بكر المحاربي ، أن المجنون عَلِقَ ليلي علاقة الصِّبا ، وذلك أنهما كانا صغيرين يرعيان أغنامًا لقومهما ، فعَلِقَ كل واحد منهما صاحبه ، إلا أن المجنون كان أكبرَ منها ، فلم يزالا على ذلك حتى كبرا ، فلما عَلِمَ بأمرهما حُجِبَتْ ليلي عنه ، فزال عقله ، وفي ذلك يقول :

١ - تعلقْتُ ليلي وفي ذات ذُؤَابَةِ ولم يدُ لِلأُتْرَابِ من نَذْيِها حَجْمُ
٢ - صغيرين نرعى البَهِمَ ياليتَ أننا إلى اليوم لم نكبرَ ولم تكبرِ البَهِمُ

□ وقفة مع اللغويات :

قوله : تعلقْتُ بالتشديد ، والذُّؤَابَةُ بالهمز ذُؤَابَةُ الشعر ، والأُتْرَابُ(*) : عظام الصدر التي عليها الثدي ، والبَهِمُ بفتح الباء صِغارُ المَعزَى ؛ الواحدة بَهْمَةٌ ، وأما البَهِمُ فالسُّود . وأما قوله - عليه الصلاة والسلام - في أشراط الساعة : « وتَرى الحفاة العُراة رِعاء الشاة والبَهِمِ » فروى بالوجهين^(١).

□ وفي بدء معرفتهما قول ثالث :

□ وبهذا السند إلى أبي الفرج البكري ، أنا أبو الفضل بن ناصر ، أنا المبارك ابن عبد الجبار ، أنا أبو القاسم التنوخي ، أنا أبو عمر بن حيويه ، أنا محمد بن خلف ، ثنا عبد الله بن عمرو ، حدثني يحيى بن أبي جابر ، حدثني ربيعة بن عبد الحميد ، قال : كان المجنون من ولد أبي بكر بن كلاب ، فأُتِيَ عليه عصرٌ من الدهر لا يعرف ليلي ، ثم عشقها فخطبها فلم يزوجه ، فاشتدت حالته وزاد ما كان يجده ، وفشا أمره

(*) الأُتْرَاب : جمع يُرْب ، وهو الممثل في السن ، أما عظام الصدر فهي ترائب جمع تريبة ؛ لذا لزم التنويه .

(١) جاء في النهاية : وفي حديث الإيمان والقدر .

« وتَرى الحفاة العُراة رِعاء الإبل والبَهِم يتناولون في البیان » .

البَهِم : جمع بَهْمَةٌ وهي ولد الضأن الذكر والأنثى وجمع لبهم بهام ، وأولاد المعز سيخال . فإذا اجتمعا أطلق عليهما البَهِم والبَهِام . =

في الناس ، فلقية ابن عم له ، فقال : يا أخى اتق الله في نفسك ؛ فإن هذا الذى أنت فيه من عمل الشيطان فازجره عنك ، فأنشأ يقول :

- ١ - يا حَبْدًا عَمِلُ الشَّيْطَانُ مِنْ عَمَلٍ إِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ حُبِّيها^(١)
- ٢ - مَنِئْهَا النَّفْسُ حَتَّى قَدْ أَضَرَّ بِهَا وَأَبْصُرْتَ خَلْفًا مِمَّا أَمْنِيها

أهناك عشاق آخرون لِلَّيْلِ غير المجنون ؟!

وها هنا نكتة ، وهى أنه عشق ليل هذه غيرُ المجنون أيضًا . وذلك فيما أخبرنا البرهان إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن مفلح من لفظه ، أنا أئى ، أنا أبو بكر بن الحب ، أنا أبو محمد المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسى ، أنا أبو القاسم التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزبان ، قال : قال محمد بن زياد الأعرابى : كان « معاذ بن كليب » مجنونًا ، وكان يحب ليلى ، وشاركه فى حبها « مُزاحم بن الحارث العقيلي » !!



= قال الخطاى : أراد برعاء الإبل والبهم : الأعراب وأصحاب البوادر الذين يتجمعون مواقع الغيث . ولا يستقر بهم الدار .

وجاء فى رواية « رعاة الإبل البهم » بضم الباء والهاء على نعت الرعاة وهم السود . قال الخطاى : والبهم - بالضم - جمع البهم وهو المجهول الذى لا يعرف . أنظر المسند ٤٩٥/٣ .

(١) يا حَبْدًا إلخ . طالما اتفقنا على ذهب عقله وجنونه لم نؤاخذه بقوله ، ولطه يرى أن « عمل الشيطان » بذور الشر والإيقاع بين الناس ، أما الحب فلا علاقة له به إنه عمل سامٍ نبيل يباركه الله !

□ فقال مزاحم :

- ١ - كلانا يا معاذُ يُحِبُّ ليلي بفيك وفي من ليلي التراب^(١)
- ٢ - لقد خَلَبْتُ فؤادِي ثم سارت بقلبي فهو مَهْمُومٌ مُصَابٌ
- ٣ - شَرَكْتُكَ في هَوَى من ليس مِنْهُ لنا إلا القطيعةُ والعذابُ

□ وقال معاذ بن كليب :

- ١ - شفى الله من ليلي فأصبح حُبُّها - بلا جَهْلٍ ليلي - زابلتني حباله
- ٢ - سوى زَفَرَاتٍ تَضِيرُ فؤاده إذا ذُكِرَتْ ليلي وداء يُطَاوِلُه

□ وحديث معهن ! :

□ وبه إلى ابن المرزبان ، أنا محمد بن خلف ، أخبرني عبد الله بن عمرو ، حدثني عبد العزيز بن صالح ، عن أبيه ، عن ابن ذأب ، حدثني رجل من بني عامر ، قال : خرج المجنون - وهو : قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن قيس بن عنبسة - على ناقة له كريمة ، عليه حلة وطيلسان ، فينما هو يسير إذ مر بامرأة من بني عقيل يقال لها « كريمة » ومعها نسوة يتحدثن ، وكانت امرأة جميلة ، فلما رآته عرفته وقالت للنسوة : هذا قيس ، فدعونه إلى النزول والحديث معهن ، فنزل وعقر ناقة له ، وظل عندهن يحدثهن ويحدثنه ، وينشدنهن وهن أعجب شيء به ، فلما أمسى إذا فتى قد

(١) ذكر داود في سبب اختلاط عقله ما قيل من أن جنونه كان مجازاة لقوله :

قضاها لغيري

أو لسماع هاتف أنشده :

كلانا مغرم في حب ليلي بفي وفيك من ليلي التراب
فاختلط عقله !

وذكر الوالبي في سبب توحشه بيتين نقلًا عن أبي عمرو الشيباني وأن مناديا ناداه بقوله :
كلانا يا أخى نحب ليلي بفي وفيك من ليلي التراب
لقد خلت فؤادك ثم بانت بقلبي ؛ فهو مهموم مصاب
والمراد بقوله : بفي وفيك التراب : أى نصيبنا منها الرفض وعدم القبول . خلت : خدعت وراوغت . بانت بقلبي : قطعت صلتها به .

وذكر أبو الفرج أن مزاحمًا قال يومًا للمجنون :

كلانا يا معاذ يحب ليلي بفي وفيك من ليلي التراب
شَرَكْتُكَ في هوى من كُلِّ حَظِي وحظك من مودتها العذاب =

أقبل عليه بُردة من برود الأعراب يسوق معزى له ، فلما رأيته أقبلن عليه وتركن قيسًا ، وكان اسم الفتى « مُنازل » فجعلن يقلن : كيف ضللت يا مُنازل اليوم ، ويقلن : حدثنا يا منازل - وكانت فيهن ليلي - فلما رأى المجنون تركهن له وإقبالهن على « مُنازل » خرج من عندهن مُعْضَبًا ، وأنشأ يقول :

- ١ - أَعْقِرْ مِنْ أَجْلِ الْكَرِيمَةِ نَاقِصِي وَوَضِلِّيْ مَقْرُونٌ بَوْصِلِ مُنَازِلِ^(١)!
٢ - إِذَا جَاءَ قَعْقَعَنَ الْخُلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جِئْتُ أَرْضَى صَوْتَ تِلْكَ الْخِلَاحِلِ
٣ - إِذَا مَا انْتَضَلْنَا فِي الْخِلَاءِ نَضَلْتُهُ وَإِنْ نَزِمَ رَشَقًا عِنْدَهَا فَهِيَ نَاضِلِي
- دعوة ، وحوار ! :

□ وقد ذكر بعضهم أن قيسًا خرج قبل عشقه « ليلي » فمر بامرأة من بنى عقيل ، وكانت امرأة عاقلة ، وكان بنات الحى يجلسن عندها ويتحدثن وينشدن الأشعار ، فلما رأت قيسًا دعتة إلى النزول عندها ، فنزل قيس عندهن وتحدث معهن وأنشدن ، وقد عَجِبْنَ من فصاحته ، وإذا « ليلي ابنة مالك » قد أقبلت ، فلما رآها قيس فُتِنَ بها ، فلما رآته تلك المرأة كذلك قالت : ما بالك يا قيس قد ضل عقلك ؟!

فقال : من يرى مثل هذه الصورة كيف لا يضل عقله !، فسألت تلك المرأة

لقد خيلت فؤادك ثم ثنت بقلبي فهو محبول مصاب

(١) وفي رواية : من جَرًّا كرائمَ : أى من أجلها ، و« كرائم » اسم المرأة التى كن عندها ، ووصلى مفضول - كما ذكر داود الأنطاكي ؛ أى دون وصل مُنازلِ ، وهو أليق بالمقام .
وفي النزمة :

إِذَا جَاءَ قَعْقَعَنَ الْخُلِيِّ وَلَمْ يَكُنْ إِذَا جِئْتُ بِلْ أَخْفِينِ صَوْتَ الْخِلَاحِلِ
يقول : قد أظهرن صوت الخُلِيِّ حين جاء « منازل » ، وهذه كناية عن قيامهن له ، ولم يكن ذلك عند مجيئى ، وهذا هو اللائق ، ولم يؤخذ من البيت السابق .

وذكر أبو الفرج الأبيات الثلاثة فى الأغاني الجزء الثانى :

أَعْقِرْ مِنْ جَرًّا كَرِيمَةً نَاقِصِي وَوَصِلِيْ مَفْرُوشَ لَوْصِلِ مُنَازِلِ !
إِذَا جَاءَ قَعْقَعَنَ الْخُلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جِئْتُ أَرْضَى صَوْتَ تِلْكَ الْخِلَاحِلِ
متى ما انتضلنا بالسهم فضلته وإن نرم رشقا عندها فهو ناضل

مفروش : أى مهد لوصله وسبيل إليه . وفى تزيين الأسواق : « مقرون بوصل منازل » . انتضلنا : ترامينا بالسهم . والرشق : رمى أهل النضال ما معهم من سهام فى جهة واحدة .

« ليلي » أن تجلس معهن ففعلت ، فانحرف قيس نحوها وعلق قلبه بها ، وعلقته هي أيضًا ، فلما أمسوا انصرف قيس وبات بأطول ليلة ، فلما أصبح مضى وجلس إليهن ، ثم جاء فتى من حى « ليلي » فأقبلت عليه « ليلي » وتركت « قيسًا » فكادت نفسه تذهب ، فلما مضى أنشد قيس :

- ١ - أَعْقِرْ مِنْ أَجْلِ الْكَرِيمَةِ نَاقِي
 - ٢ - إِذَا جَاءَ قَعَقْنِ الْحُلَى وَلَمْ أَكُنْ
 - ٣ - وَلَمْ تُغْنِ عَنِي بُرْدَتِي وَتَجَمَّلِي
 - ٤ - إِذَا مَا اتَّفَقْنَا فِي الْحَدِيثِ فَصَلْتُهُ
 - ٥ - وَإِنِّي مِنْ إِعْرَاضِهَا مَتَأَلَمٌ
- فلما قال ذلك قالت :

- ١ - كِلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بَغْضَا
 - ٢ - وَنَدْفَعُ بِالْتَّجَمَّلِ ضِغْنَ قَوْمِ
 - ٣ - وَنُظْهِرُ جَفْوَةً مِنْ غَيْرِ حَقْدِ
 - ٤ - فَطَبَّ نَفْسًا بِذَاكَ وَقَرَّ عَيْنَا
- فَرَحَةً تَذْهَبُ النُّومَ مِنْ عَيْنَيْهِ ١ :

فلما سمع ذلك فرح ورجعت نفسه ، فلم يزل معهن حتى أمسى ، ثم ذهب فبات بأطول ليلة ، وجهد أن ينام فلم يقدر ! فأنشأ يقول :

- ١ - نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمُضَاجِعُ^(١)
- ٢ - أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
- ٣ - لَقَدْ ثَبَّتَ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ كَمَا ثَبَّتَ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ^(٢)

(١) ذكر أبو الفرج الأصبهاني البيتين لكنه روى البيت الثاني بقوله :

تَبْلُغَا الْعِيُونَ بِمَا أَرَدْنَا وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوَى دَفِينُ
وَالضَّغْنُ : الْكَرَاهِيَةُ .

(٢) نسبت هذه القصيدة لقيس بن ذُرَيْج بالجزء الثامن من الأغاني ضبعة بولاق وهي نموذج رائع للغزل العربي ، فيها جمال اللفظ ورسائته ، وفيها جلال المعنى ومئاته ، وفيها جمال النفس التي تألم هذا الألم الشريف ، وتذعن لقضاء الله وقدره هذا الإذعان الشريف .

(٣) لقد أراد أن يشبه ثبوت حبه ومئاته ، فلم يلتمس التشبيه بعيدا من نفسه ، وإنما وجدته في يده ، كما رسخت في الراحتين الأصابع .

- ٤ - ولو كان هذا موضع العتب لاشتقى
 ٥ - وأنت التي صيرت جسمي زجاجة
 ٦ - أيطمع من ليلي بوصل وإنما
 فلما أصبح غدا فوجدها مع أمها فلم تقدر على أن تكلمه ، فأنشأ يقول :

- ١ - أظن هواها تاركى بمضلة
 ٢ - ولا صاحب أشكو إليه بليتى
 ٣ - محابها حب الأولى كن قبلها
 ٤ - فحبي لها حب تمكن في الحشا
 من الأرض لا مال لدى ولا أهل
 ولا وارث إلا المطية والرحل
 وحلت مكانا لم يكن حل من قبل
 فما أنا راء حبا يكون له مثل

فرجع وفي نفسه أشد من ذلك ، ثم استمر به الحال من ذكرها . « انتهى » .
 وأظهر هذه الأقوال الثلاثة التي ذكرناها في هذا الفصل : « الأوسط » وأنشد بعضهم في معناه :

عشقتك يا ليلي وكنت صيبة وكنت ابن سبع ما بلغت ثمانيا

■ الفصل الرابع ■

في ذكر تزايد أمره ، وقلة صبره ، وكثرة نكره !

□ أخبرنا أبو العباس أحمد بن حسن الصالحى من لفظه ، أنا النظام بن مفلح ، أنا أبو بكر الصامت ، أنا أبو محمد المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزبان ، قال : زعم ابن ذأب أن « معاذ بن كليب » أحد بنى نمير بن عوف بن عامر بن عقيل ، وكان يعيش « ليلي الأخيلية » من بنى عقيل ، وكان قد أقعده حبها من رجله ، فأتاه أخو ليلي بليلي ، فلما نظر إليها وكلمته تحلل ما كان به وانصرف وقد عوفى !

وأن المجنون كان يجلس في نادى قومه وهم يتحدثون فيقبل عليه بعض القوم وهو باهت ؛ ينظر إليه ولا يفهم ما يحدثه به ، ثم يثوب إليه عقله فيسأل عن الحديث فلا

(١) روى صاحب الأغاني هذا البيت بروايته عن أنى عثمان المازنى :

طمعت بليلي أن تريع وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع
 ويقال راع الشيء يريع ريعا ، أى رجع وعاد ، ورواية اللسان « تصرّب » بدلا من « تقطع » كما رواها ابن طولون .

يعرفه ، فحدثه مرة بعضُ أهله بحديث ثم سأله عنه في غد فلم يعرفه ، فقال : إنك « مجنون » فقال :

- ١ - إني لأجلسُ في النادى أحدثُهم فاستفيقُ وقد غالتى القول^(١)
- ٢ - يهوى بقلبي حديث النفس دونكم حتى يقول جليسى : أنت مجنون كذا ذكره ابن الجوزى وغيره نقلاً عن « أبى عبيدة » ، وذكر غيرهم « مخبول » .
□ قال أبو عبيدة : فتزايد الأمر به حتى فقد عقله ، وكان لا يقر في موضع ، ولا يؤويه رحل ، ولا يعلوه ثوب إلا مزقه ، وصار لا يفهم شيئاً مما يكلم به ، إلا أن تُذكرَ له « لَيْلى » ، فإذا ذكرت أتى بالبداية ورجع عقله !.

□ خبر غير موثوق به ! :

- وذكر - من لا يوثق به - أن قيساً ذهب إلى ليلي وقد شعروا ببعض أمره ، فرأته ليلي ولم تقدر على القيام إليه فبكت ، فأنشأ يقول :
- ١ - أيا ليلَ تبكى لى بعينك رحمةً من الوجد مما تعلمين وأعلمُ
 - ٢ - أليس عجيباً أن نكون ببلدةٍ كلانا بها نشقى ولا نتكلمُ
 - ٣ - لكن كان ما ألقى من الحب أننى به كلفَ جَم الصبابة مُغرمُ
 - ٤ - لعلك إن تُرنى لصَبٍّ مُتيم فمثلك يا لَيْلى يَرقَ وَيَزَحُمُ
 - ٥ - بكى لى يا لَيْلى الضميرُ وإنه لَيْكى بما يلقي الفؤادُ وَيَغْلُمُ
- فلما اشتهر أمره ، ولام قيساً أهله على ذلك ، فصر عن زيارتها أياماً ، ثم سار إليها وهو ينشد :

- ١ - ألا أيها القلبُ اللجوجُ المعدلُ أفقُ عن طلابِ البيضِ إن كنت تعقلُ^(٢)
- ٢ - أفقُ قَدْ أفاقَ العاشقون من الهوى وأنتَ بليلِ هائم القلبِ مُتبلُ^(٣)

(١) غالته : اغتالته ، وافترسته ونالت منه ، والقول : كل ما أخذ الإنسان من حيث لا يدرى ولا يشعر .
(٢) اللجوج : الذى يلزم ما هو فيه ، ويأبى أن ينصرف عنه . المعدل : للبالغ في عذله ولومه على ما هو ملازمه . وطلاب مصدر كالطلب . والبيض : النساء . يقال للمرأة بيضة الخدر ، وهى من بيضات الجمال ، وكنى عن المرأة بالبيض تشبيهاً بها فى اللون ، وكونها مصونة تحت الجناح . وقد ذكر الوالبى هذه الأبيات مع اختلاف سير فى قصيدة من خمسة عشر بيتاً .
(٣) تبل الحب فلانا : أسقمه وذهب بعقله فهو متبول وتبيل .

- ٣ - وقد زعمت ليل بأنى سلّوتها
 ٤ - فقلت لها : يا ليل ؛ والله إننى
 ٥ - هبى أننى أذنبُ ذنبًا جهلته
 ٦ - فقد تبّت من ذنبى إليك فها أقبل
 ٧ - عفا الله عما قد مضى لسيله
 ٨ - فإن شئت هاكى نازعيني حكومة
 ٩ - وإن كان هذا الهجرُ هجرَ تذلل
 ١٠ - أعلّل منك النفس بالوعدِ والمنى
 ١١ - أهيم بكم فى كلّ يومٍ وليلة

ثم سار حتى جاء منزلهم فلم يجدهم ، فجعل يقبل الأرض ويقول :

- ١ - أبوسُ ترابَ رجلِك يا لَوَيْلِ !
 ٢ - وما بوسى الترابَ لحبّ أرض
 ثم صور صورة فى التراب منها ، وجعل يعاتبها ويقول :

- ١ - أصور صورة فى التراب منها وأبكى إن قلبى فى عذاب !
 ٢ - وأشكو هجرها منها إليها شكايةً مُذْنَفٍ عظم المصاب
 ٣ - وأشكو ما لقيتُ وكل وجد غرامًا بالشكاية للتراب

■ الفصل الخامس ■

فى ذكر عزمهم على تزويجه بغيرها

لعل ذلك يذهب طيره عن طيرها !

□ اجتماع فى بيت قيس :

□ أخبرنا أبو عمر يوسف بن البدر العمرى سمعًا عليه ، أنا أسعد بن منجا
 إجازة ، عن أئى حفص بن البالسى ، أنا أبو الحجاج المزح ، أنا أبو الحسن بن
 البخارى (ح) .

(٤) باس التراب : قبله . فلرسى معرب ، وما هكذا تكون الضعة فى الحب ! ولكنه المجنون ! ، إن الحب
 النبيل يسمو بصاحبه حتى يصبح نموذج الكمال والجمال ! ، ولكن هكذا يكون حال المجنون !

قال شيخنا : وأنا عاليا أبو عبد الله بن مقبل في كتابه ، عن الصلاح بن أبي عمر ، عن الفخر بن البخاري ، أنبأنا أبو الفرج الحافظ ، أنا محمد بن عبد الباقي ، أنا علي ابن المحسن ، أنا أبو عمر بن حيويه ، أنا محمد بن خلف ، قال : روى رباح بن حبيب ، عن رجل من بني عامر ، قال : لما كثر ذكر المجنون لليلي ، واشتهر أمره ، اجتمع أهله إلى أبيه وكان سيذا فقالوا له : زوّج قيسا ؛ فإنه سيكف عن ذكر ليلي وينساها ، فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ، وقال : لا حاجة لي إلى ذلك .

فأتى ليلي بعض فتیان الحی ممن كان یحسد قيسا ويعاديه ، فأخبرها أنه عزم على أن يتزوج بغيرها ، وجاء المجنون كما كان يجيء ، فحجبتة ، ولم تظهر له ، فرجع وهو يقول :

- ١ - فوالله ما أدري علام هجرتني وأنى أمورى فيك يا ليل أركب
- ٢ - أأقطع حبلى الوصل فالموت دونه أم أشرب رنقا منكم ليس يشرب^(١)
- ٣ - أم أهرُب حتى لا يرى لى مجاورا أم أفعل ماذا ؟ أم أبوح فأغلب
- ٤ - فوالله ما أدري وانى لدائب أفكر ما جزمى إليها فأعجب !

قال : فبلغها قوله فأنشأت تقول : صدق والله قيس حيث يقول :

ومن يطع الواشين لا يتركوا له صديقا وإن كان الحبيب المقربا^(٢)

□ أهناك من هو أشرف من ليلي وأحسن عند قيس ؟ ! :

□ وذكر بعضهم أنه قال له : أنا أزوجك أشرف منها وأحسن ، فبكى وأنشأ يقول :

- ١ - ليلي على قلبي من الحب حاجز مقيم ولكن الفراق عظيم
- ٢ - فواحدة تبكى من الهجر والقلبي وأخرى لها شجونها وتيمم
- ٣ - ويتهضنى من حب ليلي نواهض لهن حريق في الفؤاد مقيم
- ٤ - إلى الله أشكو فقد ليلي كما شكا إلى الله فقد الوالدين يقيم
- ٥ - يقيم جفاه الأقربون فعظمه ضعيف ، وعهد الوالدين قديم

(١) رنقا : كدرا . وروى الأبيات الخمسة أبو الفرج الأصهباني في ترجمة أخبار مجنون بنى عامر مع اختلاف الروايتين .

(٢) الواشين : جمع واشر ، وهو الساعى بالفساد بين المحبين .

٦ - وإن زماناً فرقَ الهجرُ بيننا وبينك يا تَيْلَى فذاك ذَمِيمٌ !

■ الفصل السادس ■

فى ذكر خروجهم به إلى مكة ليذهب كَلْفُه ،
ويقل غَمُّه ، فازداد ، وما وقع له من الاتفاق فى ذلك الناد
□ إلى مكة !! :

□ أخبرنا التقى أبو بكر بن محمد بن أبى عمر من لفظه ، أخبرتنا فاطمة ابنة
الحرستانى ، عن أحمد بن على المرداوى ، أنا أبو محمد بن الحب ، أنا أبو الحسن الصالحى
« ح » .

وأنا عاليًا أبو البقاء بن أبى عمر ، أنا أبو الفرج بن قريج ، أنا أبو عبد الله بن
العز ، عن أبى الحسن الصالحى ، عن أبى الفرج البغدادى ، أنا محمد بن أبى منصور ،
أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا الحسن بن على الجوهري ، أنا أبو عمر بن حيويه ،
ثنا محمد بن خلف ، قال : قال أبو عمرو الشيبانى :

لما ظهر من الجنون ما ظهر ، ورأى قومه ما ابتلى به ، اجتمع قومه إلى أبيه وقالوا :
يا هذا قد ترى ما ابتلى به ابنك ؛ فلو خرجت به إلى مكة فعاذ ببيت الله ، وزار قبر
النبي - ﷺ - ودعا الله - عز وجل - رجونا أن يرجع عقله ويعافيه الله ، فخرج
أبوه حتى أتى مكة ؛ فجعل يطوف به ويدعو الله له بالعافية ، وهو يقول :

- ١ - دعا المُخْرُمُونَ اللَّهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ بِمَكَّةَ وَهَئَا أَنْ سَتَمَحَى ذُنُوبُهَا
- ٢ - وناديتُ أَنْ ياربَّ أَوَّلِ سُؤْلَتِي لِنَفْسِي لَيْلِي ثُمَّ أَنْتَ حَسْبِيهَا^(١)
- ٣ - فَإِنْ أُعْطِيَ لَيْلِي فِي حَيَاتِي لَا يَتَبَّ إِلَى اللَّهِ خَلْقَ تَوْبَةٍ لَا أَتُوبُهَا

□ كلمة السر ! :

حتى إذا كان يَمْنَى نادى منادٍ من تلك الخيام : « يا لَيْلَى » ، فخر قيس مغشياً
عليه ، واجتمع الناس حوله ، ونضحوا على وجهه الماء ، وأبوه ييكى عند رأسه ، ثم
أفاق وهو يقول :

- ١ - وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ من منى فهِجَ أطرافَ الفؤادِ وما يَدْرِى^(٢)

(١) سؤلتى : مسألتى ، ومطلبى .

(٢) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن سيل الماء .

٢ - دعا باسم ليلي غيرها فكأنما أطار بلي طائرًا كان في صدري
قلت : هذا مما استشهد به النحاة وغيرهم .

□ الشيء بالشيء يُذكر ! :

□ قال ابن خلف : وما أشبه هذا الخبر بخبر حدثني النضر بن سعيد الكلبي ،
حدثني أبي قال : أحب رجل منا جارية من قومه يقال لها : « ليلي » ؛ قال : فيينا
هو ذات ليلة بشاطئ الفرات إذ مر به « مَلَّاح » بداخل سفينة وهو يقول : يا « ليلي »
يا « ليلي » ، قال : فشوقه ذلك وحركه ، وذكر حبيته ، فقال :
١ - ويحك يا مَلَّاح أَرَقَ ليلتي دُعَاكَ : « ليلي » والسفينُ تعومُ
٢ - تنادي ، ولا تدري بمن أنت هاتف ؟! وتعلم ما تهلوي به قَتَهِيمُ

□ دعوني أتنسّم صَبَا نَجْد ! :

□ وبه إلى أبي الفرج البغدادي ، أخبرت شهدة ؛ فقالت : ثنا جعفر بن أحمد ،
ثنا أبو محمد الجوهري ، ثنا محمد بن العباس ، ثنا محمد بن خلف ، ذكر محمد بن
حبيب ، عن هشام بن محمد الكلبي ، وغيث الباهلي ، وأبي عمرو الشيباني ، عن ابن
دَّابٍّ ، عن رباح ، حدثني بعض المشايخ قال : خرجت حاجًا ، حتى إذا كنت بِمَعْنَى
إذا بجماعة على جبل من تلك الجبال ، فصعدت إليهم ، فإذا فيهم فتى أبيض حسن
الوجه وقد علاه الصَّفَارُ وبدنه ناحل ، وهم يمسكونه ؛ فسألتهم عنه ، فقالوا : هذا
« قيس » الذي يقال له : « المجنون » ، خرج به أبوه لِمَا يُلَى به يستجير له بيت الله
الحرام ويزور قبر محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - فلعل الله أن يعافيه . قلت
لهم : فما لكم تمسكونه ؟ قالوا : نخاف أن يجنى على نفسه جناية تُثْلِفُهُ ! .
قال : وهو يقول لهم : دعوني أتنسّم صَبَا نَجْد . فقال لي بعضهم :
ليس يعرفك ! ، فلو شئت دنوت منه فأخبرته أنك قد قدمت من نجد وأخبرته
عنها .

قلت : نعم أفعَل . فدنوت منه ، فقالوا له : يا قيس هذا رجل قدم من نجد .

قال : فتنفس حتى ظننت أن كَيْدَهُ قد تصدعت ، ثم جعل يسألني عن موضع موضع ، ووَادٍ وَادٍ ، وأنا أخبره ، وهو يكي . ثم أنشأ يقول :

- ١ - ألا حبذا نجدةً وطيبُ ترابته وأرواحه إن كان نجد على العهد
- ٢ - ألا ليت شعري عن غَوَارِضَتِي قَنَا لطول التَّائِي هل تغيرتا بعدى^(١)!
- ٣ - وهل جارتانا بالبئيل إلى الحمى على عهدنا أم لم تدوما على العهد^(٢)!
- ٤ - وعن أعلويات الرياح إذا جرت بريج الخُزَامِي هل تهب على نجد^(٣)؟
- ٥ - وعن أَفْحْوَانِ الرَّمْلِ ما هو صَانِعٌ إذا هو أُسْرِي ليلة بشرى جعد^(٤)!

□ وقفة مع اللغويات :

قوله : وأرواحه جمع ريح ، فإنها تجمع على رياح وأرواح .
قال الله - عز وجل - : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح ﴾ [الأعراف : ٥٧].
وقال أبو زيد بن جارية فيه حين سُبِّي :
وإن بقيت الأرواح هَيَّجَنَ ذَكَرَهُ فِيا طولَ أُخْزَانِي عليه ويا وَجَلِي
وعارضتني قنا : موضعان ، والبئيل : موضع ، وأعلويات ، وروى علويات
الرياح : الرياح التي تهب من العالية .
والخُزَامِي كسَلَامِي نبت له رائحة طيبة .
والأفحوان - بضم الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة - على وزن
« أَرْجَوَان » نبت له نَوْرٌ أبيض وأصفر .

□ أقول لإلف .. :

وأخبرنا أبو حفص عمر بن خليل الصالحى ، أنا أبو حفص بن مفلح ، أنا أبو

-
- (١) قنا وعوارضة جبلان لبنى فزارة .
 - (٢) والبئيل : جبل بنجد .
 - (٣) غُلُويَات : كما رواها أبو الفرج فى أغانيه - جمع علوية نسبة إلى العالية ، وهى ما فوق إلى أرض نجد إلى تهامة ، وهذه النسبة نادرة ، والقياس : عَالِي .
 - (٤) يقال : تراب جعد : أى نَدَب .

بكر بن الحب ، أنا المطعم ، أنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسي ، أنا التنوخي ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزبان ، أنشدنا محمد بن خلف ، أنشدنا القحذمي للمجنون :

- ١ - أقول لأنف ذات يوم لقيته بمكة والأنضاء ملقى رَحالها^(١)
- ٢ - بِرَبِّكَ أَخْبِرْنِي : أَلَمْ تَأْتِمْ الَّتِي أَضَرَ بِجَنَسِي مِنْ زَمَانٍ خَيَّالُهَا ؟!
- ٣ - فَقَالَ : بَلَى - وَاللَّهِ - سَوْفَ يَمَسُّهَا عَذَابٌ وَبَلَوِي فِي الْحَيَاةِ تَنَالُهَا
- ٤ - فَقُلْتُ : - وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابَقِي غَيْرَةَ سَرِيعٍ عَلَى جِيبِ الْقَمِيصِ انْهَمَّالُهَا -
- ٥ - عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ذَنْبُهَا ، وَأَقَالُهَا وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا نَوَالُهَا^(٢)

■ الفصل السابع ■

في ذكر منعه من محادثتها والاجتماع بها

□ شكوى إلى الوالى ! :

□ أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحب ، أنا والدى ، أنا أبو الفرج بن أئى عمر ، أنا أبو الفرج بن الجوزى إجازة ، أنا ابن أئى منصور ، أنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا على بن المحسن ، أنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال محمد بن زياد بن الأعرابي ، لما شَبَّبَ المجنون بليلي ، وشهر بحبها ، اجتمع إليه أهلها ، فمنعوه من محادثتها ، وزيارتها ، وتهددوه ، ولوعدوه بالقتل ، فكان يأتي امرأة فتعرف له خبرها ، فنها تلك المرأة عن ذلك ، فكان يأتي غفلات الحى^(٣) في الليل .

فلما كثر ذلك خرج أبو ليلى ومعه نفر من قومه إلى « مروان بن الحكم » ، فشكوا إليه ما ينالهم من « قيس بن الملوح » ، وسألوه الكتاب إلى عامله عليهم يمنعه من كلام ليلى .

فكتب لهم مروان كتاباً إلى عامله يأمره أن يحضر قيساً ، ويتقدم إليه في ترك زيارة

(١) الأنضاء : جمع نَضُو ، وهو المهزول من الحيوان .

(٢) أقالها : أقال عثرتها ، ونحاشها . وقد ذكر داود الأنطاكي هذه الأبيات الخمسة في أخبار المجنون وصاحبه ليلى (انظر تزيين الأسواق ، ص ١٢١ ج ١) .

(٣) الغفلات جمع غفلة : عند سهو القوم وقلة تحفظهم وتيقظهم .

ليلي ، فإن أصابه أهلها عندهم ، فقد أهدروا^(١) دمه .

فلما ورد الكتاب على عامله بعث إلى قيس وأبيه وأهل بيته ، فجمعهم ، وقرأ عليهم كتاب مروان ، وقال لقيس : اتق الله في نفسك ، لا يذهب دمك هدراً ، فانصرف قيس وهو يقول :

١ - ألا حُجِبَتْ ليلي وآلى أميرها عليّ يميناَ جاهدًا لا أزورها^(٢)

٢ - وأوعدني فيها رجال أبوهم أنى وأبوها خُشنَةً لى صُدُورُها

٣ - على غير شيء أنى أحبها وأن فؤادى عند ليلي أسيرها^(٣)

□ أمر قيس يتزايد ! :

□ فلما أيس منها وعلم أن لا سبيل إليها ، صار شبيهاً بالتائه العقل ، وأحب الخلوة ، وحديث النفس ، وتزايد الأمرُ به حتى ذهب عقله ، ولعب بالحصي والتراب ، ولم يكن يعرف شيئاً إلا ذكَّرها ، وقول الشعر فيها .
وبلغها ما صار إليه قيس ، فجزعت أيضاً لفراقه ، وصنَّيتْ صنًى شديداً .

□ وقفة مع مفردات اللغة :

وقوله : آلى من الإيلاء وهو الحلف .

وقد ذكر بعضهم ذلك بأطول من هذا بألفاظ ركيكة ، وفي الشعر زيادة وهي قوله :

١ - لقد حجبوا ليلي وآلى أميرها عليّ يميناَ برّةً لا أزورها

٢ - فكيف وقلبي في هواها مُوكَّل وقد فاضَ من أجفانٍ عينيَ غزيرُها ؟!

(١) هدراً : بغير قصاص أو دية .

(٢) آلى : أقسم وحلف . وأميرها هو مروان بن الحكم وذلك حين انتهت خلافة الإسلام إلى معاوية بن أبي سفيان ، وأصبح معاوية أمير المؤمنين ، وانداح السلطان عن بوادي العرب إلى حواضر الشام ، واستقر الحكم الجديد في دمشق تاركاً مكة وما يليها تحت ولاية مروان بن الحكم ، وفي هذا العصر عاش المجنون في « بادية نجد » . أو قيل : إنه عاش . « وعمرو بن نوفل » هو عامل مروان كما جاءت الروايات بذلك ، ثم عزله مروان ، وولى « نوفل بن مساحق » على الصدقات . وتردد في الحكايات توسطهما وشفاعتهما لقيس عند والد ليلي . وعلى ذلك فلا تعارض بين الروايات .

(٣) ذكر الوالي هذه الأبيات الثلاثة ومعها رابع هو :

وإني إذا حُتَّتْ إلى الإلف إلفها

هفا فؤادى حين حنت سُحُورُها

- ٣ - وفيها جفاني كل ألفٍ وصاحب
٤ - وكنت إذا ما جئتُ ليلي تَبَرَّقَعْتُ
٥ - وما أَسْفَرْتُ إلا وقد باتَ أهلُها
٦ - وأوعِدني فيها رجالٌ أعدُّهم
٧ - على غيرِ ذنبٍ أني أجَهِها
٨ - وقد عَوَّضَتني بالوصالِ قطعةً
- فيا ليتَ شعري ما يكونُ مَصِيرُها ؟!
فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا الغداةَ سُفُورُها
على عَجَلٍ مِنِّي وهذا نَذِيرُها
أبى وأبوها فاشتعلت صدورُها
وأن فؤادي عند ليلي أسيرُها
فيا ليتَ شعري ما يكونُ أخيرُها !

■ الفصل الثامن ■

في ذكر احتياله ليراها ،

فلما ردت عليه حيله كثر على نكاحه عمله

□ محاولة يائسة من أجل قيس بن معاذ !! :

□ أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد المزني ، أنا جدي ، أنا أبو الفتح الميدومي ، أنا أبو الفرج الحراني ، أنا أبو الفرج الجوزي ، أنا محمد بن عبد الباقي ، أنا علي بن المحسن ، أنا ابن حيويه ، أنا محمد بن خلف ، حدثني إسحاق بن محمد ، حدثني أبو معاذ التميمي ، أن « مروان بن الحكم » استعمل رجلاً من « قيس » على صدقات « كعب بن ربيعة بن عامر » ، وهم : قيس ، والحريش ، وجعدة ، فسمع بخبر « قيس ابن معاذ » - وهو « مجنون بني عامر » - فأمر أن يؤتى به ، فأتى به فسأله عن حاله ، واستنشدته فأنشده ، فأعجب به ، وقال له : الزمّني فلك أن أحتال لك في أمر « ليلي » حتى أجمع بينك وبينها ! .

فكان يأتيه فيحدث إليه ، وكان لبني عامر مجتمع يجتمعون فيه في كل سنة ، وكان « الوالي » يخرج معهم إلى ذلك المجتمع لئلا يكون بينهم اختلاف ، فحضر الوقت ، فقال قيس للوالي : أتأذن لي في الخروج معك إلى هذا المجتمع ؟ فأذن له .

فلما عزم على الخروج جاءه قوم من رهط قيس ، فقالوا له : إنما سألك الخروج معك ليري « ليلي » ويكلمها ، وقد استعدى عليه بعض أهلها وأهدر لهم السلطان دمه إن أتاهم . فلما قالوا له ذلك منعه من الخروج معه وأمر له بقلائص^(١) من إبل الصدقة

(١) القلائص : جمع قلوص وهو الفنى من الإبل من حين يركب إلى التاسعة ، والناقة كذلك .

فردها ، وأنى أن يقبلها ، وأنشأ يقول :

١ - رددت قلائص القرشي لما بدا لي النقض منه للعهد

٢ - وراحوا مقصدين وخلفوني إلى حزن أعالجه شديد^(١)

□ هكذا كان مصيره ! :

فلما علم « قيس بن معاذ » أنه قد منع ، وأنه لا سبيل إليها ، ذهب عقله ، وصار لا يلبس ثوباً إلا خرقه ، وهام على وجهه غرياناً ، لا يعقل شيئاً مما يكلم به ، ولا يصلى ، فلما رأى أبوه ما صنع بنفسه خاف عليه التلف ، فحبسه وقيدته ، فجعل يأكل لحمه ، ويضرب بنفسه الأرض ، فلما رأى ذلك أبوه حل قيدته وخلّاه ، فكان يدور في فيافهم غرياناً ، ويلعب بالتراب ، وكان له « داية »^(٢) لم يكن يأنس بأحد غيرها ، وكانت تأتيه في كل يوم برغيف وماء ، فتضعه بين يديه فربما أكله وربما تركه ولم يأكله !

□ عمرو بن نوفل والمجنون ! :

□ وذكر بعضهم أن « مروان بن الحكم » استخدم رجلاً من قريش يقال له « عمرو بن نوفل » على صدقات « بنى عامر » ، فأتاه المجنون فامتدحه بأبيات من الشعر ، وجالسه وحادثه ، فطاب له حديثه ، وأعجبه شعره ، وكساه كسوة حسنة ، وأمره بالمقام عنده ، فأقام عنده ثلاثة أيام ، وأراد « عمرو بن نوفل » الخروج إلى « بنى عامر » ، فقال له قيس :

إني أريد الخروج معك ، فقال : نعم ، فأتاه رهط قيس ، وقالوا له : إن في الأحياء جارية يقال لها : « ليلي » وهو يحبها ، وقد أهدر لهم دمهم أمير المؤمنين ، فإن أخذته شاركت في إثمه ، فتوقف في أخذه ، ثم وهب للمجنون إبلاً فردها عليه وتركه ، ولم يأخذه معه ، فخرج في البرية .

(١) يقال أقصده فهو مقصد : إذا رماه وطعنه في مقتل .

وفي رواية الأغلى لأبي الفرج .

وراحوا مقصدين وخلفوني إلى حزن أعالجه شديد

بالراء . من أقصر عن الأمر : أمسك مع القدرة عليه .

(٢) هى التى قامت بتوليده ، أو رضاعته أو حضنته . وهى عربية فصيحة . ولها ثلاثة استعمالات : فالداية هى : الموضع الأجنبية ، والحاضنة ، والقابلة .

□ نوفل بن مساحقٍ والجنون ! :

ثم إن « مروان » عزل « عمرًا » وولى « نوفل بن مساحق » ، فأتى على « قيس » وقال :

يا قيس ، لقد بلغ منك الحب مبلغًا عظيمًا ، وما أظن بلغ بأحد ما بلغ بك .
قال قيس : وسيلغ بى أكثر من هذا ، فلم يزل نوفل يؤانسه حتى أنس به ، ثم جعل يشكو لنوفل ما يجده من ليلى ، وما أهدر أمير المؤمنين من دمه ، فأمر له بكسوة حسنة ، وثياب من أثوابه ، وسأله قبولها ، فقبلها قيس ولبسها ، وقال له :
تريد أن أزوجك بلبلى عاجلاً ، قال : أى والله ومن لى بهذا ؟! فقال : انطلق إلى عند أبيها حتى أخطبها لك وأرغبه فى المهر ، فقال قيس : وتفعل يا بن عم ؟! فقال :
والله لأفعلن ولو فيه إتلاف نفسى !

قال : فشكره ومدحه بأبيات ، وقال له : بالله أسمعنى ما قلت فى ليلى ، فأنشده :

- ١ - إني لأجلس فى التادى أحدتهم فاستفيق وقد غالتنى الغول^(١)
- ٢ - يغشى بقلبي حديث النفس عندهم حتى يقول حييى : أنت مخبول
- ٣ - قالوا : شبيهك لا يخفى على أحد ليل الجمال رضاها القصد والسؤل^(٢)
- ٤ - ليلى هى البدر مالى قط مضطرب عنها وإن كثرت فيها الأقاويل !

ثم سار بقيس طالبًا أبيات ليلى ، فبلغ ذلك أهلها ، فركبوا خيولهم يريدون الحرب ، فلما رآهم ، قال : ما بالكم ؟ قالوا : يا نوفل تريد أن تلبسنا عارًا ؟! لا نفعل ذلك أبدًا ، أو نموت ! ، ثم كلمهم ووعظهم ، فأبوا ، وكان العرب لا يزوجون امرأة ممن اشتهر بعشقها ، فلما رأى « نوفل » ذلك قال : قد رأيت يا قيس ! ، وبالرغم منى ذلك ! ، فقال قيس : والله ما وفيت لى بوعد فتركه وجعل يهجو ، ويقول :

- ١ - وعار من الأرياش كاس من الهوى من المال مقدم ليهم الخلائق
- ٢ - ترى هل أتى ليلى بعزمة صادق كما هاج لى من نوفل بن مساحق
- ٣ - راجيته فى الناس منة على الرجا ألم بقلب مستطار الخوافق
- ٤ - فمن أجل هذا الحب صرت كما أرى فقلت : نعم والحب مر المدائق

(١) الثول : كل ما أخذ الإنسان من حيث لا يدرى فأهلكه .

(٢) السؤل : القصد والمنى والطلب وهى السؤل خففت همزتها .

- ٥ - سأفضي إلى سُبُلِ الهلاك وإننى
٦ - وجاءوا بوعدٍ خالطَ الشَّهْدُ طعمه
٧ - وقالوا : وآيَمُ الله لا صارَ بَيْنَنَا
٨ - وقالوا : دمُ المجنون في الحى مُهْدَرٌ
٩ - إلى الله أَرْجُو القربَ إلا تطايرت
١٠ - ولا أرتحى يوماً مِنَ الدَّهْرِ راحةً
١١ - ولما بلغنا الحى والجسمُ ناحِلٌ
١٢ - فوالله ما أدرى ألقى مُخَصَّصٌ
١٣ - أم الحب فَعَالَ بغيرى كما أرى
١٤ - حلفتُ بعَهْدِ الله يا « أم مالك »
١٥ - وأكثرَ شيءَ نلتَه من نواها
١٦ - وإنى لأهوى قُربَ ليلٍ وذكرها
١٧ - سأصبرُ للمقدورِ يا أُمَّ مَالِكٍ
- مُحْتَسِبٌ راضٍ مَشِئَةً خالِقِ
وَألقى عليه مُوبقاتِ البوائِقِ
إلى أن تزينَ البيضَ شعثَ المفاوِقِ
وقالوا : اصرفوا والقول غير موافقِ
لِثَمِينٍ بَعْضًا - بالبين - سربُ نَواعِقِ
أُسْرَ بها - إلا رميتُ بعائِقِ
وقلبى موجوع ، كثيرُ الخوافِقِ
بهذا فألقاه بتسليمٍ صادقِ
فقلبى خافقٍ بالبوائِقِ
لأنك من قلبى مكانَ علائِقِ
- أَمَانِيَّ لم تعلقَ كَبْرَقَةً بَارِقِ
هوى صادقٍ فى الحب غير مُنافِقِ
وأعلمُ أَنَّ الصَّبْرَ مُرُّ المذائِقِ

■ الفصل التاسع ■

فى ذكر عود نفسه إليه عند رؤياها

ورجوع عقله عند ذكر حلاها

□ أم قيس عند ليلى ١ :

□ أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى عمر ، أنا أبو الفرج بن الطحان ، أنا الصلاح بن أبى عمر ، أنا الفخر بن البخارى ، أنبأنا أبو الفرج بن الجوزى ، قال : قال جعفر بن أحمد السراج ، أنا إبراهيم بن عمر البرمكى ، أنا أبو عمر بن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، ثنا زكريا بن موسى ، حدثنى شعيب بن السكن ، عن يونس النحوى ، قال : لما اخْتُلِطَ « قيس بن الملوّح » وزالَ عقلُه ، وامتنَعَ من الأكل والشُّرب ، سارت أمُّه إلى ليلٍ ، فقالت لها : إن ابنى جُنَّ من أجلك ، وذهب حُبُّكَ بعقله ، وقد امتنع عن الطعام والشراب ، فإن رأيت أن تصيرى معى إليه ، فلعله إذا

رَأَى أَن يَسْكُنَ بَعْضَ مَا يَجِدُ ، فَقَالَتْ لَهَا : أَمَّا نَهَارًا فَلَا يُمْكِنُنِي ذَلِكَ ، فَإِنْ عَلِمَ أَهْلِي ذَلِكَ لَمْ آمَنْهُمْ عَلَى نَفْسِي ، وَلَكِنِّي سَأَصِيرُ إِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ صَارَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ مَطْرُقٌ يَهْدِي ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا قَيْسُ إِنْ أَمَكُ تَزْعُمُ أَنَّكَ جَنَّتَ مِنْ أَجْلِ ، وَأَصَابَكَ مَا أَصَابَكَ .

قال : فرفع رأسه ونظر إليها ، وتنفس الصعداء ، وأنشأ يقول :

١ - قالت : جنت بمن تهوى ، فقلت لها : الحب أعظم مما بالجانين

٢ - الحب ليس يُفِيقُ الدهرَ صاحبه وإنما يُضَرِّعُ المجنونَ في الحين^(١)

□ وفي رواية أخرى زيادة :

٣ - لو تعلمين إذا ما غبت ما سَقَمِي وكيف تسهر عيني لم تلوميني

□ قيس ونوفل بن مساحق :

□ وقال ابن حيويه : وأنا محمد بن خلف ، حدثني محمد بن إسحاق ، حدثني

ابن عائشة ، عن أبيه ، قال : ولي « نوفل بن مساحق » صدقات « كعب بن ربيعة » ،

فنزّل بمجمع من تلك المجامع ، فرأى « قيس بن معاذ » المجنون وهو يلعب بالتراب ،

فدنا منه وكلمه ، فجعل يجيبه بخلاف ما يسأل عنه ، فقال له رجل من أهله : إن

أردت أن يكلمك كلامًا صحيحًا فاذكر له « ليلي » ، فقال له « نوفل » : أحب

« ليلي » ؟ قال : نعم . قال : فحدثني حديثك معها . قال : فجعل ينشده شعره فيها ،

فأنشأ يقول :

١ - وشغلْتُ عن فَهْمِ الحديثِ سِوَى ما كَانَ فِيكَ فَأَنْتُمْ شُغْلِي

٢ - وَأَدِيمُ نَحْوَ مُحَدَّثِي لَيْسَ أَنْ قَدْ فَهَمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي !

وأنشد :

١ - سَرَتْ فِي فَوَادِ الْقَلْبِ حَتَّى إِذَا أَنْتَى بِهَا السِّرَّ وَارْتَادَتْ جَمَى الْقَلْبِ حَلَّتْ

٢ - فَلِلْعَيْنِ تَهْمَالٌ إِذَا الْقَلْبُ مَلَّهَا وَلِلْقَلْبِ وَسْوَاسٌ إِذَا الْعَيْنُ مَلَّتْ

٣ - وَوَاللَّهِ مَا فِي الْقَلْبِ شَيْءٌ مِنَ الْهَوَى لِأُخْرَى سِوَاهَا أَكْثَرَتْ أَمْ أَقَلَّتْ

(١) ذكر أبو الفرج الأصبهاني البيهقي مع اختلاف في صدر البيت الأول :

قالت جنت على أي شيء ؟ فقلت لها : الحب أعظم مما بالجانين

وقد ذكر الشهاب الخفاجي في « شفاء الغليل » أن « أيش » مخففة من أي شيء ؟ وقد قيل : إنها

سمعت من العرب وإنها وردت في شعر قديم . كما قيل : إنها مولدة .

وفي رواية : . قالت : جنت على رأسي فقلت لها : . .

وأنشد :

- ١ - ذكرت عشية الصدفين ليل وكل الدهر ذكرها جديد
٢ - على أليّة إن كنت أدري أينقص حب ليل أم يزيد^(١)؟
فلما رأى نوفل ذلك منه أدخله بيتًا وقيده ، وقال : أعالجه ، فأكل لحم ذراعيه
وكفيه ، فحله وأخرجه . فكان يأوى مع الوحوش ، وكان له « داية » ربتة صغيرًا ،
فكان لا يألف غيرها ، ولا يقرب منه أحد سواها ، فكانت تخرج في طلبه في البادية ،
وتحمل له الخبز والماء ، فرمى أكل بعضه وربما لم يأكل ، فلم يزل على ذلك حتى مات .

■ الفصل العاشر ■

فى ذكر ما وقع له من الاستخبار والاصطياد
وما حصل له من الاستدلال والاستمداد

□ مجنون بنى عامر والأحوص الأنصارى :

□ أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم الحاكم ، أنا النظام بن مفلح ، عن أبى بكر
ابن المحب ، أنا أبى ، وأبو الحجاج المزى ، قالا : أنا أبو الفرج بن أبى عمر ، وأبو
الحسن بن البخارى (ح) وأنا عاليًا أبو عمر العمرى ، أنا جدى ، أنا الصلاح بن
أبى عمر ، أنا أبو الحسن بن البخارى ، قالا : أنا أبو الفرج بن الجوزى إذنا ، أنا محمد
ابن السراج ، أنا الجوهرى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن خلف ، أخبرنى إسحاق بن محمد ،
حدثنى أبو معاذ التميمى ، قال : لقي مجنون بنى عامر الأحوص بن محمد الأنصارى ،
فقال له : حدثنى حديث عروة بن خزام ، قال : فجعل الأحوص يحدثه وهو يسمع
حتى فرغ من حديثه ، ثم أنشأ يقول :

١ - عجبْتُ لعروّة العذرى أفسى أحاديثًا لقوم بعد قوم^(٢)

(١) أليّة : يمن . والصدّفين : مكان . ويراد بالصدّفين : ناحيتى الشعب ، أو الوادى ، وجاء فى المعجم
الوسيط : الصّلف : إقبال إحدى الركبتين على الأخرى حين المشى ، وكل شيء مرتفع عظيم كالهدف
والخائط ، والجبل ، والناحية ، وصدف الجبل : جانباه المتحاذيان ؛ قال الله تعالى : ﴿ حتى إذا ساوى بين
الصدفين قال انفخوا ﴾ [الكهف : ٩٦] .

(٢) عروة بن خزام : عشق عفرأ ابنة مالك العذرين ، وهما بطن من عذرة ، وكان عذرة يتيمًا فى حجر
عمه فسأل عمه أن يزوجه عفرأ فأخذ يسوف حتى خرج عروة فى سفر فزوجها ابن عم له .

٢ - وعروة مات يوماً مستريحاً وهانذا أموت بكل يوم !

□ حوار بين كثير عزة وعبد الملك بن مروان وأعشق الشعراء ! :

□ وبه إلى ابن خلف ، أخبرني عبد الله بن محمد الطالقاني ، أنا السريُّ بن يحيى الأزدِيّ ، عن أبيه ، عن الفضل بن الحسن المخزومي ، قال : دخل « كثير عزة » على عبد الملك بن مروان ، فجعل يُنشدُه شعراً في عَزَّة وعيناه تَذْرِفَان ! .

فقال له عبد الملك : قاتلك الله يا كثير ! هل رأيت أحداً أعشق منك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! خرجت مرة أسير في البادية على بعير لي يوضع^(١) ، فبينما أنا أسير ، إذ رفع لي شخص فأمنته^(٢) ، فإذا رجل قد نصب شركاً للظباء وقعد بعيداً منه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقلت له :

ما أجلسك هاهنا ؟ فقال : نصبتُ شركاً للظباء فأنا أُرصده . فقلت : إن أقمتُ لديك فصدتَ أطعمتني ؟ فقال : إِيهّا^(٣) والله .

قال : فنزلت وعقلت ناقتي وجلست أحدثه ، فإذا هو أحسن خلق الله حديثاً ، وأرقه وأجزله .

قال : فما لبثنا أن وقعت ظبية في الشرك فوثب ووثبت معه ، فخلصها من الحبال ، ثم نظر في وجهها ملياً ، ثم أطلقها وأنشأ يقول :

- ١ - أيا شبة ليلي لن ترأعي فإني لك اليوم من بين الوُحوشِ صديقُ
 - ٢ - ويا شبة ليلي لن ترألي بروضةٍ عليك سحاب دام وبُروقُ
 - ٣ - فما أنا - إذ أشبهتها ثم لم تَوُبْ - سليماً عليها في الحياة شفيقُ
 - ٤ - ففِرَّ فقد أطلقت عنك لِحِيها فأنْتَ لليلي ما حيت طليقُ
- وروى فقر^(٤) ، وزاد في بعض أصحابنا بيتاً آخر وهو :

- ١ - فميناك عَيْنَاهَا وجيْدُكِ جِيْدُهَا ولكنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ
- ثم أصلح شركه وعدنا إلى موضعنا . فقلت : والله لا أبرح حتى أعرفَ أمرَ هذا

(١) أوضع بعيره يوضع : حملة على السير السريع . (٢) أَمَنَتُهُ : قصده .

(٣) إِيهّا : اسم فعل للاستزادة من حديث أو عمل معهود . فإذا نونتها كانت للاستزادة من حديث أو عمل مّا . وتكون للإسكلت والكف بمعنى حسبك . وتكون منصوبة فقول : إِيهّا لا تحدث .

(٤) الأولى من الفرار والثانية من القرار ، أى قرى عيناً ، وانعمى بمررتك ولا ترأعي .

الرجل ، فأقمنا باقى يومنا فلم يقع لنا شىء ، فلما أُمسينا قام إلى غار قريب من الموضع الذى كنا فيه ، وقمت معه فبتنا به ، فلما أصبح غدا فنصب شركه ، فلم يلبث أن وقعت ظبية شبيهة بأختها بالأمس ، فوثب إليها ووثبت معه ، فاستخرجها من الشرك ونظر فى وجهها ملياً ، ثم أطلقها فمرت ، فأنشأ يقول :

١ - اذهبى فى كَلَاءَةِ الرَّحْمَنِ أَنْتِ مِنِّى فى ذَمِّ وَأَمَانِ

٢ - ترهينى والجيد منك لليل والحشا والبغام والعينان

٣ - لا تخافى بأن تُهاجى بسوء ما تغنى الحمام فى الأغصان^(١)

ثم عدنا إلى موضعنا فلم يقع فى يومنا ذلك شىء .

فلما أُمسينا صرنا إلى الغار فبتنا فيه ، فلما أصبحنا غدا إلى شريكه وغلوت معه ، فنصبه وقعدنا نتحدث ، وقد شغلنى - يا أمير المؤمنين - بحسن حديثه عن الجوع ، فبينما نحن نتحدث إذ وقعت فى الشرك ظبية ، فوثب إليها ووثبت معه ، فاستخرجها من الشرك ، ثم نظر فى وجهها وأراد أن يُطلقها ، فقبضت على يده وقلت : ماذا تريد أن تعمل ؟ أقمت لديك ثلاثاً كلما صدت شيئاً أطلقتته ! قال : فنظر فى وجهى وعيناه تذرغان وأنشأ يقول :

١ - أَتُلْحِى^(٢) مُجِبًّا هَائِمَ الْقَلْبِ أَنْ رَأَى شَيْهًا لِمَنْ يَهْوَاهُ فى الْحَبْلِ مُوثَقًا ؟

٢ - فلما دنا منه تَذَكَّرَ شَجْوَهُ وَذَكَرَهُ مَنْ قَدْ نَأَى فَتَشَوَّقًا

فرحمته - والله يا أمير المؤمنين - وبكيت لبكائه ، ونسبته ، فإذا هو « قيس بن معاذ المجنون » ، فذاك والله أعشق منى يا أمير المؤمنين^(٣).

□ وبه إلى أبى بكر بن المحب ، أنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزبان ، أنا محمد بن خلف ، أخبرنى أبو بكر العامرى ، عن عبد الله بن أبى كريم ، عن أبى عمرو الشَّيبَانِى ، عن أبى بكر الوالى ، قال : ذكروا أن المجنون مر برجلين قد صادوا عتراً من الطباء وربطاهما ، فلما نظر إليها دمعت عيناه ، وقال : يا هذان خَلِيَّاهُ ، فأبيا عليه ، فقال : لكما مكانها شاة

(١) روى هذه الآيات الثلاثة ابن الجوزى فى « ذم الهوى » (ص ٣٠٣) .

(٢) أتلقى ؟ : أتلوم ؟ .

(٣) ذكر قصة هذا الحوار بين كثير وعبد الملك حول أشعر الشعراء ابن الجوزى فى ذم الهوى

(انظر ص ٣٠٢ وص ٣٠٣) .

من غنمى ، قبلا منه ودفعها إليه ، فأطلقها ودفع إليهما الشاة ، وأنشأ يقول :

- ١ - شَرَيْتُ بِكَشْرِ شَبَةِ لَيْلٍ ، وَلَوْ أَبَوَا
لَأَعْطَيْتُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
 - ٢ - فَيَا بَائِعِي شَبَةَ لَيْلٍ هَبْ لَنَا
وَخَتْنَا مَا نَالَهُ كُلُّ عَابِدٍ^(١)
 - ٣ - فَلَوْ كُنَّا حُرَيْنَ مَا بَعْتَا مَعَا
شَيْهًا لِلَّيْلِ يِعْمَةُ الْمُتَزَايِدِ
 - ٤ - وَأَعْتَقْتُمَا رَغْبَةً فِي ثَوَابِهَا
وَلَمْ تَرْغَبَا فِي نَاقِصٍ غَيْرِ زَائِدٍ
 - ٥ - فَلَا ظَفَرْتُ كَفَاكُمَا بِكَرِيمَةٍ
وَجُنَّبْتُمَا ضَرْبَ الْغَمَامِ الرَّوَاعِدِ^(٢)
- وقال فى ذلك أَيْضًا :

- ١ - يَا صَاحِبِى اللَّذِينَ الْيَوْمَ قَدْ أَخَذَا
فِي الْحَبْلِ شَبَاهُ اللَّيْلِ ثُمَّ شَدَّاهَا
- ٢ - إِنِّى أَرَى الْيَوْمَ فِى أَعْطَافِ شَاتِكُمَا
مِثْلَهَا أَشْبَهْتُ لَيْلِ فَحَلَّاهَا
- ٣ - وَأَوْرَدَاهَا غَدِيرًا - لَا عِدْمَتَكُمَا -
مِنْ مَاءِ مُزْنٍ قَرِيبٍ عِنْدَ مَرْعَاهَا

□ مجنون بنى عامر وذئب افرس ظبية :

□ وبه إلى ابن خلف ، أخبرنى أبو بكر ، أخبرنى عبد الله بن أنى كريمة ، عن أبى عمرو الشيبانى ، عن أبى بكر الوالى ، قال : قال مجنون بنى عامر : بينا أنا ذات يوم قاعد إذ رأيت ذئبًا فرسَ ظبية^(٣) فاتبعته ، فإذا هو رابض عندها يأكلها ، فرمته بسهم فما أخطأته ، ثم لحقته فهتله وشققت بطنه وأخرجت ما كان فى بطنه من لحمها فدفتته وأحرقت الذئب ، وقلت فى ذلك :

أبى الله أن تبقى لليل بشاشة فصبراً على ما شاء الله لى صبرا

□ الشىء بالشىء يُذكر :

□ وبه إلى ابن خلف ، قال : ومما يشبه هذه الأخبار فى تشبيه الأطباء بالأحباب ، وإن لم يكن من أخبار المجنون ، ما :

حدثنا عمر بن شبة ، ثنا أبو غسان المدينى ، أخبرنى عبد العزيز بن أبى ثابت ، أخبرنى رجل من التجار قال : اشترى أبو زيان الهرمى طبيباً بدرهمين ، ثم أخذ بيدي حتى إذا كنا بالحرّة أطلقه ، وقال : ما كان لقوس أن يصيد شبه « أم سالم » ثم أنشأ

(١) هَبْلُ فلان هبلاً : فقد عقله وتميَّزُهُ ، ويقال : هبلته أمه : فى معنى المدح والإعجاب فإراد به : ما أعلمه ، أو ما أصوب رأيه ، وليس هو المراد هنا .

(٢) ضرب الغمام : الضرب : المطر الخفيف ، وهو دعاء عليهم بالهط والجفاف والحرمان من كل خير .

(٣) فرس ظبية : افرسها وصادها .

يقول :

- ١ - ألا يا غزال الرمل من الصرايم
٢ - كذا الجيد والعينان منها
ألا لا فقد ذكرتني أم سالم
وجوه اللثات وقد خالفتها في القوام

□ أيًا شبه ليلى ١ :

□ وبه إلى ابن خلف ، أنشدني محمد بن سعيد ، أنشدني أبو عمر المازني

للمجنون :

- ١ - راحوا يصيدون الطباء وإلى لأرى تصيدها على حرام
٢ - أشبهت منك سوالفا ومحاجرا فلها علينا حرمة وذمام
وقال :

- ١ - أيا شبه ليلى إن ليلى مريضة وأنت صحيح ؛ إن ذا لحال !
٢ - أقول لطبي مرّ بي وهو راتع : أنت أخو ليلى ؟ فقال : يقال
٣ - فلا تكن ليلى غزال بعينه فقد أشبهتها ظية وغزال
□ وبه إلى ابن خلف ، قال : أنشدت للمجنون :

- ١ - أجدت محاسن كلما ضنت محاسنه بخسنيه
٢ - كاذ الغزال يكونها لولا الشوى ونشوز قرنه^(١)

■ الفصل الحادى عشر ■

فى ذكر إلفها به

□ ألا ليت شعرى !! :

□ أخبرنا الكمال محمد بن حمزة الحسينى ، أنا أبو العباس بن الشريف ، أنا أبو

حفص البالىسى ، أنا أبو الحجاج المزى ، أنا أبو الحسن بن البخارى (ح) .

قال شيخنا : وأنا عاليًا أبو العباس بن عبد الهادى ، أنا أبو عبد الله بن أبى عمر ،
عن أبى الحسن بن البخارى ، عن أبى الفرج البكرى ، أنا ابن ناصر ، أنا المبارك بن
عبد الجبار ، أنا الجوهري ، أنا ابن حيويه ، ثنا ابن خلف ، حدثنى قاسم بن الحسن ،

(١) الشوى : أطراف الجسم ، ونشوز القرن : بروزه وظهوره وقريب منه قول الشاعر :

فميناك عيناها وجيدك جيدها غير أن عظم الساق حك دقيق

عن العمري ، أنا الهيثم بن عدى ، أنا عثمان بن عمار ، عن أشياخهم من بنى مرة ، قال : رحل رجل منا إلى ناحية الشام مما يلي تيماء ، والشراة في طلب بُغية له ، فإذا هو بخيمة قد رُفَعَتْ له ، وقد أصابه مطر ، فعدل إليها فتحنح ، فإذا امرأة قد كلمته ، فقالت له : انزل . فنزل وراحت إبلهم وغنمهم ، فإذا أمر عظيم وإذا رعاء كثير ، فقالت لبعض العبيد :

سَلُّوا هذا الرجل من أين أقبل ؟! . فقلت : من ناحية البجامة ونجد . فقالت : أى بلاد نجد وطئت ؟ فقلت : كلها . فقالت : عند من نزلت هناك ؟ قلت : ببني عامر . فتنفست الصَّغْدَاءُ ، وقالت : بأى بنى عامر ؟ فقلت : ببني الحريش . فاستعبرت^(١) ، ثم قالت : هل سمعت بذكر فى يقال له « قيس » ، ويلقب بالمجنون ؟ فقلت : إى والله ، ونزلت بأبيه وأتيته حتى نظرت إليه يهيم فى تلك الفياض^(٢) ، ويكون مع الوحوش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تُذكر له ليلى فيكى وينشد أشعاراً يقولها فيها . قال : فرفعت الستر بينى وبينها ، فإذا شقة قمر ، لم تر عيني مثلها ، فبكت وانتحبت حتى ظننت والله أن قلبها قد انصدع .

فقلت لها : أيتها المرأة اتقى الله ، فوالله ما قلتُ بأُسا . فمكثت طويلاً على تلك

الحال من البكاء والنحيب ، ثم قالت :

١ - أَلَا لَيْتَ شِغْرِى - والخطوب كثيرة - متى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجع^(٣)

٢ - بنفسى من لا يستقلُّ برحله ومن هو - إن لم يحفظ الله - ضائع

ثم بكت حتى غشى عليها ، فلما أفأقت ، قلت : من أنت يا أمة الله ؟ قالت :

أنا ليل المشثومة عليه ، غير المساعدة له . فما رأيت مثل حريقها عليه ووجدتها به فمضيت وتركتها .



(١) استعبرت : بكت وسالت عبراتها . (٢) الفياض : الصحارى جمع فيفاء .

(٣) من شعر ليلى العامرية ، وقد ذكر الإمام الوالى هذين البيتين ومناسبتهما .

■ الفصل الثاني عشر ■

فى ذكر ذهابه فى تنشق الأخبار

□ أترك ليلى ١٩ :

□ أخبرنا أبو حفص عمر بن على بن الصيرفى ، أنا أبو الفرج بن الطحان ، أنا الصلاح بن أبى عمر ، أنا الفخر بن البخارى ، أنبأنا أبو الفرج الجوزى ، قال : قال ابن السراج ، أنا الجوهري ، أنا أبو عمر الخزاز ، ثنا محمد بن خلف ، قال : قال العمرى : عن عطاء بن مصعب ، قال : خرج المجنون مع قوم فى سفر ، فبينما هم يسرون إذ تشعبت بهم طريق إلى الماء الذى كانت عليه ليلى ، فقال المجنون لأصحابه : إن رأيتم أن تحطوا وترعوا وتنتظرونى حتى آتى الماء ، فأبوا عليه وعذلوه ، فقال لهم : أنشدكم الله : لو أن رجلاً صحبكم وتحرم بكم فأضل بعيره ، أكنتم مقيمين عليه يوماً حتى يطلب بعيره ؟ قالوا : نعم . فقال : فوالله لليلى أعظم حرمة من البعير ، ثم أنشأ يقول :

- ١ - أَتَرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى لَيْلَةٍ إِلَى إِذْنٍ لَصَبُور^(١)
 - ٢ - هَبُونِى أَمْرًا مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنْ الذِّمَامَ كَبِير^(٢)
 - ٣ - وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَعْظَمُ حَرَمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِير^(٣)
 - ٤ - عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ فَإِنِهَا إِذَا وَلِيَتْ حَكَمًا عَلَى تَجُور^(٤)
- قال : فأقاموا عليه حتى رجع .

□ عفا الله عن ليلى ! :

□ وبه إلى ابن الجوزى^(٥)، أنا ابن ناصر ، أنا الحميدى ، أنا أبو غالب بن بشران ، أنا أبو الحسين الكاتب ، أخبرنى الحسن بن على ، حدثنى عبد الله بن عمرو

(١) ذكر الإمام الوالى فى ديوان المجنون هذه الأبيات وأضاف إليها بيتاً خامساً وهو :
فما أكثر الأخبار أن قد تزوجت

فهل يأتينى بالطلاق بشير ١٩!

(٢) أضل بعيره : فقده ، أو ضيعه . له ذمة : حق وحرمة . وجمعها ذمام .

(٣) الصاحب المتروك : يعنى ليلى ، أعظم حرمة على صاحبه من ضلال البعير وتركه .

(٤) تجور : تظلم . (٥) رواية ثانية لمناسبة هذه الأبيات .

ابن أبى سعد ، ثنا على بن الصباح ، عن الكلبي ، قال : خرج المجنون في عدة من قومه يريدون سفرًا لهم ، فمروا في طريق يتشعب وجهين ، أحدهما : ينزله رهمط ليلي وفيه زيادة مرحلة ، فسألهم أن يعدلوا معه إلى تلك الجهة ، فأبوا ، فمضى وحده وقال :
 ١ - أأترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلة إلى إذن لصبور
 ٢ - هبوني امرأ منكم أضل بعيره له ذمة إن الذمام كبير
 ٣ - وللصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يضل بعير
 ٤ - عفا الله عن ليلي الغداة فإنها إذا وليت حُكْمًا على تجور

□ دينار ليلي ١ :

□ وقيل : إنه كان يمر على ديارهم ويقول :

١ - أُمُرُّ على الدَّيَّارِ ديارِ لَيْلى أَقْبَلْ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا
 ٢ - وما حُبُّ الدَّيَّارِ أَهَاجَ وَجَدَى وَلَكِنْ حُبٌّ مِنْ سَكَنِ الدَّيَّارَا

□ أين الذين عهدتهم ١٩ :

□ وقيل : إنه كان يسأل الرعاة عنهم أين نزلوا ويقول :

١ - سألت مَرَادَ الحَيِّ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَخْبَرْتُهُ مَا قَدْ جَرَى وَدَهَانِي^(١)
 ٢ - وقلت له : أين الذين عهدتهم بيطنك في طيب وحسن أمان ؟
 ٣ - فقال : مضوا واستقروا في ديارهم ! ومن ذا الذي يقى على الحدثان !!
 وذلك أنهم كانوا قد نزلوا بجبل مراد .

□ هل أنت قيس بن معاذ ١٩ :

□ وقيل : إنه خرج حتى جاء حيا فوقف وإذا فتى قد خرج في طلبها ، فقال

له : كذبت ، هل أنت قيس بن معاذ ؟ ارجع من حيث أتيت وإلا فإن ظفر بك الحى قتلوك ، فرجع وهو يقول :

١ - واخجلنى من وقوفى وسط داركم وقول واشيكم : من أنت يارجل ؟
 ٢ - فقلت : حيران قد ضلّ الطريق به ها فارشدونى فلى فى حَيْكَم شَعَل
 ٣ - فقال لى : مُرَّاجِعًا فليس الطريق كذا كيف احتيالى وقد ضاقت لى الحيل ؟

(١) المراد : (بفتح الميم) مكان الارتداد وطلب الكلأ والمرعى . ومن يتقدم القوم يصير لهم الكلأ ومساقط الغيث فهو رائد . ويقول ابن طولون : إنهم نزلوا بجبل « مراد » .

□ فرجع ، فمر براع فتزل عنده ، فسقاه لبنًا ، فجعل يقول :

□ وما الناس إلا العاشقون ! :

- ١ - وما الناس إلا العاشقون ذُؤُو الهوى
 - ٢ - إذا المها قالت : وَعَيْشِكَ إِنَّا
 - ٣ - فَإِنْ كُنْتَ مُشْتَقًا فَسِرْ نَحْوَ بَابِنَا
- ولا خيرَ فيمن لا يحبَّ ويعشق !
حِراسٌ على اللُّقيا ولا تتفرَّق
فنحن إلى ما كان من ذاك أَشوق

□ أسير الهوى ! :

□ وقيل : إنه مر بطائفة من بنى عمها وهو يقول :

- ١ - وما بي إلا حُبٌ ليلي كفاية
 - ٢ - فلا تقتليني « أم مالك » غنوة
 - ٣ - فيارب هَبْ نَفْسِي لِنَفْسِي وَآوِنِي
- جفونا وإني في الهوى لأسير
وأنت على عِتْقِي الْعِدَّةَ قدير
بليلي لتجلى كربة وزفير

□ أجارتنا إن الخطوب تنوب :

□ وقيل : إنه خرج مرة إلى جهنم ، فنزل بامرأة يقال لها : « سعاد » ، فاختمها عندها فأحس بذلك أهلها ، فتقدموا إلى « سعاد » في ذلك ، فجاءت إليه وحذرتة وأخبرته أنها غريبة ، وأنها تخاف على نفسها أن يخرجوها من الحى أو أن يقتلوه عندها . فقال :

- ١ - فَإِنْ تُرْخِزِحْنِي عَنْكَ خِيفَةً كَاشِحٍ
 - ٢ - وَقَدْ حَلَّ بِي مَا كُنْتُ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ
 - ٣ - وَإِنْ لُمْتُنِي مِنْ جَوَابِي صَبَابَةٍ
 - ٤ - أَجَارْتَنَا ؛ إِنْ الْخَطُوبُ تَنْوِبُ
 - ٥ - أَجَارْتَنَا إِنَّا غَرِيبانَ هَاهُنَا
 - ٦ - غَرِيبٌ يَقَاسِي الذَّلَّ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
 - ٧ - فَلَا تَسْمَعِي فِينَا مَقَالَهَ جَاهِلٍ
- بحالى، فأبى ما علمت كيب^(١)
لحيني فموقى - يا سعاد - قريب
يقول لى الواشون : أنت مُريب
وإئنى صب ما أقام عَسِيبُ
وكل غريب للغريب نسيبُ
وليس له فى العانين حَبِيبُ
فربى - كما قد تعلمين - مُجيب

(١) كاشح : عدو .

□ إذا نظرت نحوى ...!! :

□ وقيل : إنه ذهب مرة فرآها ولم يقدر على كلامها ، فقال :

- ١ - إذا نظرت نحوى تكلم طَرْفُها وجاوبها طَرْفِي وَنَحْنُ سُكُوتُ
- ٢ - فواحدة منها تبشُرُ باللقا وأخرى لها نفس تكاد تَمُوتُ
- ٣ - إذا مِتَ - خوف اليأس - أَخْيَانِي الرَّجَا فكم مرة قَدْ مِتُّ ثم حَيِّتُ
- ٤ - ولو أحلّقوا بى الإنسان والجنُّ كلُّهم لَكِنِّي يَمْنَعُونِي أَنْ أَجِيءَ لَحْيَتِ

□ ضعفت عن التسليم يوم وداعها ! :

□ وقيل : إنها اجتمعت به مرة ثم ودعته ، فقال :

- ١ - ضَعَفْتُ عَنِ التَّسْلِيمِ يَوْمَ وَدَاعِهَا فودَّعْتُهَا بِالطَّرْفِ وَالْعَيْنُ تَذْمَعُ
- ٢ - وأخرست عن رَدِّ الجوابِ فَمَنْ رَأَى مُجِبًا بدمعِ العينِ قَلْبِي يُودِّعُ
- ٣ - عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ مِنِّي تَحِيَّةً إِلَى أَنْ تَغِيْبَ الشَّمْسُ مِنْ حِينَ تَطْلُعُ

□ ألا ليَتَيَّ قد مت شوقًا !! :

□ وقيل : إنه قال مرة وقد رحلوا عن قربه :

- ١ - فما للنجوم الطالعات نحوسها عَلَى ! أَمَا فِيهَا الْغَدَاةُ سَعُودُ !!
- ٢ - ألا ليَتَيَّ قَدْ مِتَ شَوْقًا وَوَحْشَةً بِفَقْدِكَ لِيلى وَالْفؤَادُ عَمِيدُ
- ٣ - وَإِنْ تَبْعُدِي يَا لَيْلَ أَسْأَلُ عَنْكُمْ وَلَكِنْ حُبِّي وَالْفَرَامُ جَدِيدُ
- ٤ - وَإِنْ تَقْرُئِي يَا لَيْلَ فَالْحُبُّ صَادِقُ كَمَا كَانَ يَنْمُو وَالنَّوَالُ بَعِيدُ
- ٥ - وَإِنْ كَانَ هَذَا الْبَعْدُ أَخْلَفَ عَهْدَكُمْ فَحَبِي لَكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ يَزِيدُ

□ ألا قل لليلي ...! :

□ وقيل : إنها زارته مرة فأنشأ يقول :

- ١ - زها جسم ليلى فى الثياب كما زها مَعَ الْفَصْنِ غُضْنٌ قَدْ تَرَايَدَ عَوْدُهَا
- ٢ - وما بال ليلى ليس تَخْلُصُ مِنْ دَمِي وَتَعْلَمُ أَنَّ النَّارَ حَامٍ وَقودُهَا ؟!
- ٣ - أَلَا قُلْ لِلَّيْلِ قَدْ وَهَبْتُ لَهَا دَمِي وَجَذْتُ بِنَفْسِي قَدْ نَعَاهَا غَزِيرُهَا

■ الفصل الثالث عشر ■

فى عدم شعوره بالألم مع ذكرها وسؤاله القريب والبعيد بكل أمرها !

□ أخبرنا البرهان إبراهيم بن قاسم الدمشقى ، أنا أبو العباس الصالحى ، أنا الصلاح بن أبى عمر ، أنا الفخر بن البخارى ، أنبأنا أبو الفرج البكرى ، قال : روى العتبى ، قال : مر « المجنون » يومًا بـ « زوج ليلى »^(١) وهو جالس يصطلى فى يوم شات فوقف عليه ، ثم قال :

- ١ - بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبِيلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ فَأَهَا؟!
 - ٢ - وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلَى رَفِيفَ الْأَقْحَوَانَةِ فِي نَدَاهَا؟!
- فقال : اللهم إِذْ خَلَقْتَنِي فَنَعَمْ . فقبض المجنون بكلى يديه قبضة من الجمر ، فما فارقتها حتى خَرَّ مغشيًا عليه ، فسقط الجمر مع لحم راحتيه !!

□ وقفة مع اللغويات فى البيتين السابقين :

قوله : « وَهَلْ رَفَّتْ » - بالراء المهملة المفتوحة - ويقال : « رَفَّتْ » بالزأى المضمومة . و« القرون » : قرون الشَّعر . و« رفيف » بالراء المهملة وروى بالزأى أيضًا . و« الأقحوانة » بضم الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة معروفة .



(١) جاء فى الأغاني أن ليلى تزوجت « وردًا » وحكى ذلك بقوله : لما شُهر أمر « المجنون ولىلى » وتناشد الناس شعره فيها ، خطبها ورد بن محمد العُقَيْلى وبذل لها عشراً من الإبل وراعيها بينا كان قيس قد بذل خمسين ناقة حمراء ، فقال أهلها : نحن نخيروها بينكما ، فمن اختارته تزوجته ، ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختارى « وردًا » لتملن بك ؛ فقال المجنون :

أَلَا يَا لَيْلَى ! إِنْ مَلَكْتَ فِينَا خِيَارَكَ فَانْظُرِي لِمَنِ الْخِيَارُ؟!

إلخ أربعة أبيات ، فاختارت « وردًا » فتزوجته على كُرْهِ منها . والقرون : جدائل شعرها ، والأقحوان نبات زهره طيب الرائحة كالعُرامى والخزامى وما أشبه .

■ الفصل الرابع عشر ■

فى ذكر ما حصل له فى جنونه من الصوت
وزهابه مع الوحوش حتى جاءه الموت !

□ الشيخ « الملوّح » يكي قيسًا !! :

أخبرنا التقى أبو بكر بن موسى الأنصارى ، أنا الزين بن الطحان ، أنا أبو عمر ابن قدامة ، أنا أبو الحسن السعدى ، أنبأنا أبو الفرج الحافظ ، أنا محمد بن عبد الباقي ، أنا على بن المحسن التنوخى ، أنا ابن حيّويه ، أنا محمد بن خلف ، حدثنى عبد الله ابن عمرو ، ثنا على بن الحسن ، ثنا داود بن محمد ، عن عمرو بن رزام ، قال : وفد فتى من نهد يقال له : « صباح بن عامر » على « الملوّح » أوى قيس المجنون ، فسلم عليه وخبره بنسبه ، وقال له : إنى قد وفدت من بلدى لأنظر إلى قيس وأسمع من شعره ، فما فعل ؟

فبكى الشيخ حتى غشى عليه ، ثم سكن وقال : أتى لك بقيس !؟ ، إن قيسًا عشق ابنة عم له ، وإنه جن على رأسها ، فهو لا يأنس بأحد ، يرد مع الوحوش يوم ورودها ، ويصدر معها إذا صدرت^(١) ، ولكن ها هنا شاب ينهب إليه فى كل وقت ، وهو يأنس به ، ويأخذ منه ما يقول ، وقد حفظ له قصيدة يقال لها : « المونسة » ، فإذا أنشدته إياها أنس به وحده ، فإن شئت فصر إليه .

قال صباح : فصرت إلى الفتى ، فرحب بى وسألنى عن حالى ، فأخبرته ، فقال لى : أتروى لقيس بن ذريح شيئًا ؟ فإن المجنون مستهتر بشعره !؟

قلت : أنا أحفظ الناس لشعر قيس ، قال : فصر إلى موضع كذا وكذا فاطلبه فى تلك الفياق^(٢) فإنك تجده ، واعلم أنه إذا رآك سوف ينفر منك ويهوى إليك بحجر ، فلا يهولك واقعد كأنك لا تريده ، فإذا رأيته قد سكن فاذكر له « ليلى » ، فإنه سيرجع إلى عقله ويراجع صحته ويحدثك عن حاله ، ثم أنشدني من شعر قيس شيئًا فإنه مشغوف به .

(١) يرد : يقدم ، ويصدر : يرجع ويعود ، وأصله الورود على الماء والصلور عنه بعد الارتواء ، وفى تعبيراتنا الحديثة : الوارد والصادر .

(٢) الفياق : الصحارى الواسعة . جمع فيفاة .

قال صباح^(١): ففعلت الذى أوصانى به الفتى ، ولم أزل أطلبه حتى انتصف النهار ، فإذا أنا برجل عريان قد سقط شعر رأسه على حاجبيه ، وإذا هو قد حطّر حظيرة من تراب وهو قاعد فى وسطها ، وإلى جانبه أحجار وهو يخطط بإصبعه فى الأرض ، فلما رآنى أهوى إلى حجر وثب ليقوم ؛ ففعلت ناحية أرمى ببصرى إلى غيره ، ولا أحفل به ، ثم إنه رجع إلى عبثه وتخطيطه ، فقلت له : أتعرف ليلى ؟ قال : بأى^(٢) والله هى ، فكيف لا أعرفها ؟

قلت : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

- ١ - وإلى لَمْفَن دَمَعْ عَيْنَى بِالْبُكَاءِ حِذَارًا لما قد كان أو هو كائن
- ٢ - وقالوا غَدًا أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يَنْ أو هو بائن
- ٣ - وما كنت أخشى أن تكون مَنِيَّتِي بكفئك إلا أن ما حُم حائن^(٣)

فقال : أنا والله أشعر منه حيث أقول :

- ١ - نَعَبَ الغرابُ بَيْنَ لَيْلَى إِنَّهُ كان الكتاب بَيْنَها مَخْطُوطًا
 - ٢ - أَصْبَحْتُ من أهلى الذين أحبهم كالسهم أصبح ريشه مَروطًا^(٤)
- ثم وثب مسرعًا إلى ظباء سنحت له ، فغاب عني فتبعته ، فجعلت أقفوا أثره إلى آخر النهار ، فما وقعت عيني عليه !.

ثم غدوت فى اليوم الثانى فجعلت أطوف عليه فى تلك الفياق ، حتى إذا جَنَيْتِ^(٥) الليل انصرفت ، فلما كان فى اليوم الثالث طلبته ، فإذا أنا به عريان بين أحجار ميت !!!

□ نهاية أئمة !! :

□ وبه إلى أبى الفرج الحافظ ، أخبر ابن أبى منصور ، أنا أحمد بن محمد البخارى ، أنا الحسن بن على ، أنا ابن حيويه ، ثنا محمد بن خلف ، أنا أحمد بن الهيثم

(١) صباح بن عمر المتقدم ذكره . (٢) بأى والله هى : أفديها بأى !

(٣) حذارًا : خوفًا . منيتى : موقى . وذكر داود فى « تزوين الأسواق » فى مناسبة هذه الأبيات أن « قيس ابن ذريح » لما أزمعت لبنى على الرحلى بعد العدة جاء وقد قوض فسقاطها ، فسأل الجارية عن أمرهم ، فقالت : سَلْ « لبنى » ، فأقى إليها فمَنَعَهُ أهلها ، وأخبروه أنها غداة غد ترحل فسقط مغشياً عليه ، فلما أفاق أنشد هذه الأبيات الثلاثة .

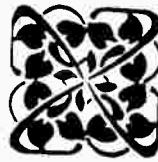
(٤) يقال : مَرَطَ الرِيشَ عن السهم : سقط . يعنى أنه أصبح مُجَرَّدًا من الأهل والأحباب كالسهم بلا ريش !.

(٥) جننى الليل : أظلم على وأحاط بى الظلام .

القرشى ، ثنا العباس بن هشام ، عن أبيه هشام بن محمد بن السائب ، أن رجلاً من أهل الشام كان له أدب وأنه ذكر له المجنون فأخبر بخبره ، فأحب أن يراه وأن يسمع من شعره ، فخرج يريده حتى إذا صار إلى حيه سأل عنه ، فأخبر أنه لا يُؤويه مكان ، وأنه يكون مع الوحش ، قال : فكيف لى بالنظر إليه ؟ قيل : إنه لا يقف لأحد حتى يكلمه إلا لـ « داية » له هى التى كانت ربه . فكلم « دايته » وراسلها ، فخرجت معه تطلبه فى مظانّه التى كان يكون فيها فى البريّة ، فطلبوه يومهم ذلك فلم يقدروا عليه ، ثم غدوا فى اليوم الثانى يطلبونه ، فبينما هم كذلك إذ أشرفوا على وادٍ كثير الحجارة ، وإذا به فى ذلك الوادى بين الحجارة ميتاً^(١) ، فاحتمله الرجل « ودايته » حتى أتيا به الحى فعسّلوه وكفّنوه ودفنوه . فقال الرجل : قد كنت أقدر أن أسمع منه شيئاً من شعره ، فأنشدوه أشياء سألهم فى إنشادها له فكتبها وانصرف .

□ وحكاية أخيرة ذكرها كثير ! :

□ وقد حكى فيه غير ذلك ، فذكر أن كثيراً^(٢) قال : بينما أنا عند « مجنون بنى عامر » إذ مر راكب ، فقال : تَعَزَّ يا قيس ! ، قال : عمن ؟ ! قال : عن « ليلى » . فقام إلى بعيره وقمت إلى بعيرى ، ثم أتينا الحى فأرشدنا إلى قبرها ، فأقبل يقبله ويلتزمه وَيَشَمُّ تَرَابَهُ وَيُنْشِدُ الشعر ، ثم شهق فمات ، فدفنته ! .



(١) يرحمه الله ! كم تسعدنا ذكره ، وَتُثَبِّتُنَا أخبار حبه وهواه ! ، وتخلق بنا أشعاره فى كل اتجاه ! .
 (٢) هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن قد أوصله الكلبي فى جمهرة النسب إلى « ماء السماء بن حارثة » المشهور أحد أولاد الأزد . وهو صاحب عزة بنت جميل علقها جارية قد كعبت نُهوذا ، وله فى عزة أشعار كثيرة .

■ الفصل الخامس عشر ■

فى اقتداء العشاق بالمجنون وما وقع لهم من الأخبار والفنون

١ - ابن أبى مالك :

□ أخبرنا أبو محمد عبد القادر بن محمد الصالحى ، أنا أبو عبد الله المعمار ، أنا أبو بكر بن المحب ، أنا المطعم ، أخبرتنا كريمة ، أنا ابن ناقة ، أنا النرسى ، أنا التنوخى ، أنا ابن حيويه ، أنا ابن المرزبان ، حدثنى محمد بن الفضل ، عن أحمد بن محمد الأزدى ، عن « عبد الله بن همام » ، قال :

خرجت أريد بعض الحوائج ، وإذا أنا بـ « ابن أبى مالك » وهو قاعد فى الصحراء بين الحيرة والكوفة ، فقلت : ما تصنع ها هنا ؟

قال : أصنع ما كان صاحبنا يصنع .

قلت : ومن صاحبكم ؟ قال : « مجنون بنى عامر » صاحب ليل ، قال : وإلى جنبه حجر ، فتناوله وعدا خلفى ، فتجاوزنى^(١) الحجر ، وعُذْتُ فقعدت بعيداً منه ، قال : فقال لى : والله ما^(٢) أحسنَ ولا أجملَ حيث يقول :

عَلِفْتُكَ إِذْ غَنَى عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتَ نَفْسِي أَلْوَمُهَا
ما له لم يقل كما قلت :

١ - رماني الهوى منه بأعظم شجوة وعسكر حولى البحر دون حبيب

٢ - فصبراً لعلّ الدهر يجمع بيننا بألف حبيب ، أو بموت رقيب

قال : ثم نقول ما هو أحسن من هذا : لا إله إلا الله الواحد الأحد ، علا فقدر ، وحكم فعدل .

□ ابن أبى مالك وعبد الله بن إدريس :

□ وبه إلى ابن المرزبان قال : وحدثنى العباس بن محمد بن عبد الرحمن

الأنصارى ، حدثنى أبى ، قال : سمعت « عبد الله بن إدريس » يقول :

(٢) ما : نافية .

(١) تجاوزنى : تخطانى ، ولم يصبنى .

رأيت « ابن أوى مالك » جالسًا فى موضع قد كان فىه رَماد ، ومعه قطعة جَصٍّ^(١) يخطط بها ، ويستبين بياض الجص فى سواد الرماد ، فقلت له :

يا ابن أوى مالك ، ما تصنع ؟ قال : ما كان صاحبننا يصنع - يعنى « مجنون بنى عامر » ، قال : قلت : وما كان يصنع ؟ قال : أما سمعته يقول :

١ - عَشِيَّةً مالِي حيلةً غيرَ أَنبى بلقط الحصى والخطِّ فى الدار مولع

٢ - أُخْطَ وَأَمْحُو كُلَّ ما قد خَطَطْتُهُ بدمعى والغربان فى الدارِ وَقَعَ

قلت : ما سمعته . قال : فتضاحك ، ثم قال : أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى رِبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَّ ﴾ [الفرقان : ٤٥] أسمعته أو رأيته يا ابن إدريس ؟ هذا كلام العرب .

٢ - رجل من أهل البصرة وابنة عمه :

□ وبه إليه قال : وحدثنى محمد بن الفضل ، حدثنى بعض أهل الأدب ، عن محمد بن أبى نصر الأزدى ، قال : رأيت بالبصرة مجنونًا قاعدًا على ظهر الطريق بالمرَبْد^(٢) ، فكلما مر به ركب قال :

١ - أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْإِمانون عَرُجُوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

٢ - أَسْأَلُكُمْ هل سالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا وَحَبَّ إلينا بَطْنُ نَعْمَانِ وَادِيَا^(٣)

قال : فسألت عنه ، فقيل : هذا رجل من أهل البصرة كانت له ابنة عم وكان يحبها فزوجها رجلاً من أهل الطائف فنقلها فاستولاه^(٤) عليها كالمجنون من بنى عامر .

٣ - عكرمة يصيبه داء قيس :

□ وبه إليه قال : وأخبرنى أحمد بن معاذ بن يزيد الكنانى ، حدثنى محمد بن زياد الأعرابى ، قال : رأيت بالبادية أعرابياً فى عنقه تمام^(٥) وهو عريان ، وعلى سوءته (١) الجَصَّ : من مواد البناء يطلّى به بعد أن يطفأ بالماء ويريد : « الحجر الجيرى قبل أن يطفأ بالماء » حيث يكون متماسكاً صلّباً يصلح للكتابة على الأرض .

(٢) المرَبْد : (بكسر الميم وفتح الباء) هو فى الأصل موقف الإبل ومَحْبِسُها ، وبه سُمى « مرَبْد البصرة » كان سوقاً للإبل ، وكان الشعراء يجتمعون فيه وهو المراد هنا . ويطلق المربد على ما يجفف فيه التمر والجمع مرابد .

(٣) ذكر الوالبى هذين البيتين ضمن قصيدة من اثنى عشر بيتاً ، ونسبها إلى « مجنون بنى عامر » .

(٤) استولاه : أصابه الوله وهو - كما جاء فى الصحاح - ذهاب العقل والتحريم من شدة الوجد .

(٥) التمام : جمع تميمه ، وهى ما يعلق فى العنق لدفع العين .

خِرقة ، وفي رجله حبل ، وخلفه عجوز ممسكة بطرف الحبل ، وإذا هو يَعَضُّ ذراعيه ، فقلت للعجوز : من هذا ؟ فقلت : ابنُ بنتي .
 فقلت لها : ما حاله ؟ أبه مس من الجن ؟
 قالت : لا والله ولكنه نشأ و« ابنة نَعَمْ له » في مكان واحد فَعَلِقَها وعلقتة ، فحبسها أهلها عنه ومنعوه منها ، فزال عقله وصار إلى ما ترى كـ « مجنون بنى عامر » .
 فقلت لها : ما اسمه ؟ فقلت : « عِكْرَمَة » . فقلت : يا عكرمة ما أصابك ؟ فقال :
 أصابني داء « قيس » و« عروة » و« جميل » فالجسم مِنِّي نَحِيل ، والفؤاد عليل ^(١)
 قال : فتركته ومضيت .

٤ - الذين يموتون من الحب :

□ وبه إليه ، قال : وحدثني هارون بن محمد ، أخبرني أبو عبد الله القرشي ،
 قال : حدثني الحكم ، قال : قيل « لرجل من بنى عامر » : هل تعرفون فيكم المجنون
 الذى قتله الحب ؟ قال : إنما يموت من الحب هذه الجمانية الضعاف القلوب !

قال : وقال محمد بن جعفر : أنشدني المارستاني :

١ - إذا قربت دارًا كَلِفْتُ وإن نَأْتُ أَسِفْتُ فَلَا بِالْقُرْبِ أَسْلُو ولا البعد ^(٢)

٢ - وإن وعدت زاد الهوى لانتظارها وإن بخلت بالوعد مِتَّ على الوعد

٣ - ففى كلِّ حبٍّ لا محالة قَرْحَةٌ وَحُبُّك ما فيه سرى محكم الجهد

وقد زاد بعضهم :

٤ - وقد زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَمَلَّ وَأَنَّ النَّأَى يَشْفِي مِنَ الرَّجْدِ

٥ - بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشَفَّ مَا بَنَّا عَلَى أَنْ قَرَبَ الدَّارَ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ

وروى على ذلك : * قرب الدار خير من البعد * .

وزاد بعضهم :

٦ - على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه لَيْسَ بِذَى وَدَّ

(١) قيس وعروة معروفان أما جميل فقد أحب بثينة .

(٢) ذكر الوالى هذه الأبيات الستة ضمن قصيدة من اثني عشر بيتًا ونسبها إلى المجنون ما عدا البيت الثالث

وقدم البيت الثانى على الأول مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

□ وأخبرنا الشهاب أحمد بن حسن بن المبرد ، أنا أبو عبد الله بن جوارش ، أنا أبو بكر ابن المحب ، أنا والدي ، أنا ابن أبي عمر ، أنا ابن الجوزي ، أنا المبارك بن علي ، أنا ابن العلاف ، أنا عبد الملك بن بشران ، أنا أحمد بن إبراهيم الكندي ، ثنا محمد بن جعفر ، أنشدني الصَّيْدَلَانِي لِنَفْسِهِ :

قَالَتْ جُنْتُ عَلَى رَأْسِي فَقُلْتُ هَا : العشق أعظم ما بالمجانين
العشق ليس يفيق الدهرَ صاحبه وإنما يُضْرَعُ المجنونُ في الحين^(١)



(١) وفي رواية الوالبي : • قالوا جنت بمن هوى • وقد ذكر ابن القيم هذين البيتين دون نسبة في « روضة المحبين » . ويراد بالحين : الوقت طال أو قصر .